الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور الطاهر مولاي – سعيدة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: العلوم الإنسانية.
شعبة: التاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

عنوان المذكرة:

الجماعة الإباضية بالمغرب الإسلامي قبل قيام الدولة الرستمية خلال القرنين 2هـ/3هـ

من إعداد الطالب:
- قايد محمد.

الأستاذ المشرف:
– قدوري عبد الرحمن.

لجنة المناقشة:

أ. قدوري عبد الرحمن	مشرفا ومناقشا.
أ. جبران لعرج	رئيسا.
أ. سكاكو مريم	مناقشا.

الموسم الجامعي: 1438-1439هـ/ 2016-2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

آخر بداية نهاية، ها هي ثمرات نلاقح أفكارنا تنضج لتفجر ينبوعا من العلم كان مكنونا في باطن المعرفة.

بفضل الله أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما، إلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلهما، إلى والدي العزيزين أدامهما الله لي.

إلى أغلى وأثمن هدية من الله سبحانه وتعالى: أخواتي.

إلى جميع الأهل والأقارب من بعيد ومن قريب.

إلى من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأجلى عبارات في العلم، إلى من صاغوا لنا علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا سبيل العلم والنجاح إلى أساتذتي الكرام.

قابد

شكر وتقدير

إلهي

لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك،
ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك
ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا.

وعرفاناً مني بجميل كل من ساهموا من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الثناء إلى أستاذي المشرف الدكتور «شباب عبد الكريم" الذي لم يبخل علي بدعمه ونصائحه وتوجيهاته القيمة. فجزاه الله عني كل خير فله مني كل التقدير والاحترام وأسأل الله أن يوفقه في حياته الدينية والدنياوية.

وكما لا يفوتني أن أتقدم بفائق الاحترام والتقدير إلى جميع أساتذة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم التاريخ خاصة الأستاذ: «قدوري عبد الرحمن» والطالب الدكتور: «زاوي بوبكر» وكذا الطالب الدكتور «مكاتي توماس»، وزملائي: كل من أكرم، سلطاني جيلالي، زوبير بشارف، بوعلام مراحي، جيلالي مغيث، قادة بصليل.

« كن عالما.. فإن لم تستطع فكن متعلما، فإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم.»

-قائد-

مقدمـــــــــــــــــــــــــــــة

مقدمة:

تميز تاريخ المغرب في القرون الهجرية الأولى بالثورات والتقلبات المتكررة، فحل العامل القومي في القرن الأول الهجري محل الصراع، ثم حل الصراع المذهبي في المرحلة الثانية محل العامل القومي ونتج عنه ظهور دويلات استند قيامها إلى المذهبية مثل دولة الصفرية في سجلماسة ودولة الاباضية في المغرب الاوسط ودولة الأدارسة في المغرب الأقصى والدولة الفاطمية.

أضحت الإباضية جاذبة لاهتمام الباحثين أكثر فأكثر؛ وذلك بسبب تاريخها الغني باعتبارها إحدى الفروع المعتدلة والمدارس المستقلة في مجموعة البلدان الإسلامية. وتعود أصول الإباضية إلى النصف الأول من القرن الأول الهجري. وقد ظهرت الإباضية باعتبارها فرقة معتدلة خلال ''الحرب الأهلية'' الأولى أو الفتنة (656-661 م)، وذلك لما اعترضت فرقة ''المُحَكِّمَة''، التي دعت إلى مبدأ ''لا حكم إلا لله''، على التحكيم بين علي ومعاوية في معركة صفين (35-36 هـ/656 م). وقد انتشرت الإباضية، بعد ذلك، في البصرة بالعراق، تحت إمرة رجال مميزين، شيوخ وأئمة، أقاموا أدبيات فقهية وكلامية فريدة من نوعها، تساعدنا اليوم على فهم المراحل الأولى لا لتكوين الفرقة الإباضية فحسب، وإنما أيضا مراحل بداية التاريخ الإسلامي. وبسبب بعض الظروف التاريخية الغير ملائمة، لا سيما في حقبة الأزمة التي أدت إليها الفتنة الثانية (61 هـ/680 م)، فإن الأغلبية الإباضيين المقيمين في البصرة، لجأوا إلى عمان وإلى اليمن وإلى شبه جزيرة حضرموت بالجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية؛ فضلا عن العديد من البلدان الإسلامية بإفريقيا الشمالية، وفي بلاد المغرب تم إنشاء أدبيات إباضية مهمة في مختلف الجماعات الإباضية المتفرقة، ومن لدن العديد من المؤرخين والعلماء. وبعد ذلك بزمن وجيز، تفرق الإباضيون على السواحل الشرقية لإفريقيا، حيث حافظت الجماعات الإباضية الحديثة على تعاليم أسلافها على الرغم من بعض التباينات المحلية، والتي كانت منتظرة بالنظر إلى انعزالها. واليوم فإن أعظم الجماعات الإباضية وأشدها ازدهارا مقيمة في سلطنة عمان، في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية. علاوة على تواجد جماعات صغرى في أماكن تاريخية مثل زنجبار وكلوة على الساحل الشرقي من إفريقيا، وجبل نفوسة وزوارة بليبيا، وعلى جزيرة جربة بتونس، وعلى وادي مزاب بالجزائر.

والحال أن هذه المدرسة الإسلامية المثيرة للإعجاب، والتي شهدت تأويلات متنوعة داخل الجماعات الإباضية المحلية المختلفة، إنما هي مَدِينة باسمها إلى عبد الله بن إباض المري التميمي، أحد أوائل مؤسسي

الجماعة. على أن المؤسس الأول للمدرسة الإباضية الذي خلف ابن إباض هو جابر بن زيد الأزدي (توفي حوالي 100 هـ) الشهير، وأبرز شيوخ الإباضية ـــ إنما كان ينحدر من نزوى بعُمان. ويعود الفضل إلى جابر بن زيد في تقديم المساهمات الأهم في تطور تقليد إباضي مستقل.

ويُعتبر المذهب الإباضي من أقدم المذاهب الإسلامية، وهو يختلف عن مذاهب أهل السنة ومذاهب الشيعية، حياتهم الاجتماعية لا تنفصل عن الآخرين، يتزاوجون مع المنتمين إلى المذاهب الأخرى، عاداتهم هي نفس عادات الآخرين في المجتمعات التي يعيشون فيها، لهم آراء محددة في الخلافة والحكم، وأسلوب التعامل مع الحكام.

ومن هنا يتبادر إلى أذهاننا الإشكال العام التالي:

- ✓ **كيف ساهم المذهب الإباضي في نشر الإسلام في المغرب الإسلامي قبل قيام الدولة الرستمية؟**

وتحت هذا الإشكال تندرج مجموعة من التساؤلات، وهي:

- ما طبيعة المذهب الإباضي؟
- ما هو دور الإباضية في نشر الإسلام في بلاد المغرب الإسلامي؟
- كيف كان الدور الثقافي للمذهب الإباضي في المغرب الإسلامي قبل قيام الدولة الرستمية؟

إن المقاربة التي يعتمدها البحث قائمة على معالجة الموضوع بمختلف جوانبه وأبعاده، يفترض على الباحث اتباع أدوات المؤرخ وفق المنهج التاريخي القائم على التحليل ومعالجة المادة العلمية في مضامينها الأصلية، وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على الخطة التالية:

- مقدمة.
- الفصل الأول: ماهية المذهب الإباضي.
- الفصل الثاني: دور الإباضية في نشر الإسلام في بلاد المغرب الإسلامي.
- الفصل الثالث: الدور الثقافي للجماعة الإباضية ببلاد المغرب قبل قيام الدولة الرستمية.

- خاتمة ثم ملاحق.

دوافع اختيار الموضوع:

وقع اختيارنا لهذا الموضوع لجملة من الأسباب لعل أبرزها:

- رغبتنا الشخصية في معرفة ودراسة علماء المغرب الأوسط.
- أن موضوع البحث يندرج ضمن فلسفة مشروع ماستر الموسوم بتاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، فيحاول هذا الموضوع أخذ الجوانب الحضارية له.
- المساهمة في إثراء المكتبة الجامعية بدراسة حول موضوع لا زال لم يحظى بدراسة مستقلة.

قد اقتضنا في هذا البحث مجموعة من المصادر والمراجع التي تناولت موضوع البحث، وسوف أقتصر حديثي على تلك التي لها أهمية خاصة في مادة البحث، أهمها:

ترجع جميع المؤلفات الأباضية (على سبيل المثال الدرجيني في طبقات المشائخ ،الشماخي في السير، الحارثي العماني في العقود الفضية ،محمد علي ديوز في تاريخ المغرب ،علي يحي معمر في الاباضية في موكب التـــــــــــــــــــاريخ ...) نشأة مذهبهم إلى جابر بن زيد من أبرز علماء النصف الثاني من القرن الهجري الأول ؛ التقى جابر بعدد كبير من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهم وقد نقلت كتب السير عن جابر أنه قال : " أدركت سبعين رجلا" من بدر فحوينا ما عندهم من العلم إلا البحر الزاخر " ويقصد به ابن عباس وكان ابن عباس يقول عنه : " اسألوا جابر بن زيد فلو سأله من بالمشرق والمغرب لوسعهم علمه . "

واجهتنا صعوبات عدة أثناء إنجازنا لهذا العمل، وذلك من خلال صعوبة انتقائنا لبعض المصادر والمراجع.

الفصل الأول:

ماهية المذهب الإباضي.

المبحث الأول: نشأة وتعريف المذهب الإباضي.

- **نشأة المدرسة الإباضية:**

تعتبر المدرسة الإباضية أقدم المدارس الإسلامية تبلوراً وتمايزاً في تاريخ الأمة، حيث لم تستطع بقية المدارس صياغة مناهجها المستقلة إلا في فترات لاحقة، فمؤسس المدرسة الإباضية هو جابر بن زيد الأزدي (ت 93هـ)[1]، وقد هاجر في صباه من نزوى في جوف عمان إلى البصرة لطلب العلم، وتتلمذ فيها وفي المدينة ومكة على كثير من الصحابة، إلا أنه أكثر الأخذ عن عبد الله بن عباس وأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نبغ جابر بن زيد في الفقه والعلوم إلى درجة أن ابن عباس قال عنه "اسألوا جابر بن زيد، فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه"[2]، وحين مات قال عنه مالك بن أنس: "مات أعلم من على ظهر الأرض"[3]، هذا التميز دفع الأزد وغيرهم من أهل العراق إلى جعل جابر بن زيد مرجعهم الفقهي، ثم تطور الأمر بعد أن انفرد بنو أمية بالخلافة وجعلوها في عقبهم بالوراثة إلى تكوين مدرسة سياسية استقطبت الناقمين على السياسة الأموية، وكان القائد والمرجع لهذه المدرسة هو جابر بن زيد، وحين أخذت هذه المدرسة في النمو، انضم إليها بعض بقايا أهل النهروان الذين حاربهم الإمام علي في معركة النهروان الشهيرة بعد أن خلعوه حين قبل بخدعة التحكيم، كان عبد الله بن إباض ونافع بن الأزرق من أنصار أهل النهروان، إلا أن ابن الأزرق سرعان ما انفرد بتأسيس جماعته التي اشتهرت بتكفير المخالفين

---

[1] هو أبو الشعثاء جابر بن زيد اليحمدي الأزدي محدث وفقيه، وإمام في التفسير والحديث وهو من أخص تلاميذ ابن عباس، وممن روى الحديث عن أم المؤمنين عائشة، وعدد كبير من الصحابة ممن شهد بدرا .يرجع إليه، حسب أتباعه وبعض المؤرخين، المذهب الإباضي، فهو من أرسى قواعده وأصوله، ولد عام 21هجري – على الأرجح– زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه– في منطقة تسمى الجوف في ولاية نزوى عاصمة المحافظة الداخلية في عمان (توضيح)في أحضان عائلة علم ورواية، ثم قصد البصرة واستقر بها كعادة كثير من أهل بلاده، متنقلا بينها وبين الحجاز وعمان، ينظر: أبو العباس الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق وطبع إبراهيم طلابي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974، ج2، ص 14.

[2] الدرجيني، المصدر نفسه، ص 205.

[3] الدرجيني، المصدر نفسه، ص 205.

واستحلال دمائهم، وقد عرفت حركة نافع بن الأزرق – الأزارقة – وغيره ممن اعتنق منهج التكفير واستحلال دماء المخالفين بـــ "الخوارج"[1].

كانت مدرسة الإمام جابر بن زيد ما تزال سرية، إلا أن انضمام شخصية عسكرية مثل عبد الله بن إباض جعلها تحت طائلة المراقبة والمتابعة من قبل مخابرات الدولة الأموية، وقامت الدولة الأموية بتسمية مدرسة الإمام جابر بن زيد بـــ (الإباضية) لسببين، الأول: أن نسبة المدرسة إلى إمام في العلم بحجم جابر بن زيد ربما يدفع المزيد من الأزد وغيرهم إلى الإنطواء في لوائها، الثاني: أن شخصية عبد الله بن إباض معروفة لدى الناس بأنها عسكرية، فنسبة المدرسة إلى رجل عسكري يجعل الناس تتوجس من أهدافها خاصة بعد الفتن والحروب المسلحة التي مرت بها الأمة.[2]

كان للإمام جابر الكثير من الأتباع من التابعين من أمثال أبي بلال مرداس بن حدير وأخيه عروة، وجعفر بن السماك العبدي، وسالم بن ذكوان الهلالي، وصحار العبدي وغيرهم.

تتلمذ الكثير من العلماء على يد الإمام جابر، وحملوا عنه العلم، وعلى رأس هؤلاء أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وضمام بن السباب، وأبو نوح صالح الدهان، وأبو عبيدة عبد الله بن القاسم، وعنهم أخذ الإمام الربيع بن حبيب الأزدي، وعبد الله بن عبد العزيز، ووائل بن أيوب الحضرمي، وأبو المؤرج، وأبو غسان مخلد بن العمرد، وعبد السلام بن عبد القدوس، وطالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي، وأبو حمزة المختار بن عوف الشاري، وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وعبد الرحمن بن رستم الفارسي، وعاصم السدراتي، وإسماعيل بن درار الغدامسي.

---

[1] حاول البعض ربط الإباضية بالخوارج، وقد فند دعاواهم الكثير من الباحثين، انظر على سبيل المثال "الفرق بين الإباضية والخوارج" أبو إسحاق إبراهيم إطفيش، تحقيق أحمد بن سعود السيابي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، ص 112.

[2] حاول بعض المؤرخين نفي صلة الإمام جابر بن زيد بالمدرسة الإباضية، وقد قام بالرد على دعاواهم كل من: عمرو النامي "دراسات عن الإباضية"، وعلي الحجري "الإباضية ومنهجية البحث"، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عمان، 1999، ص 121.

وعن هؤلاء حمل العلم محبوب بن الرحيل ومنير بن النير الجعلاني، وموسى بن أبي جابر، وبشير بن المنذر، وهشام بن المهاجر، وهاشم بن غيلان العماني، وعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، وأفلح بن عبد الوهاب، وأبو مرداس مهاصر السدراتي، وغيرهم.[1]

- **أماكن انتشار المذهب الإباضي:**

ينتشر الإباضية في سلطنة عمان، وساحل أفريقيا الشرقي في كل من تنزانيا ورواندا وأوغندا، وفي الشمال الإفريقي في جبل نفوسة بليبيا، وجزيرة جربة بتونس، ووادي ميزاب بالجزائر، وهناك جاليات إباضية تنتشر في مختلف أنحاء العالم خاصة في فرنسا.

وكان سبب انتشار المذهب الإباضي في كل من عمان، واليمن، وشمال أفريقيا، وساحل أفريقيا الشرقي، هو قيام دول إباضية في تلك المناطق، ويمكن قراءة تاريخ تلك الدول في كتب التاريخ والسير.[2]

- **أهم فرق الإباضية:**

أ- **الحفصية**: هم أصحاب حفص بن أبي المقدام[3]، وهو الذي زعم أن بين الشرك والإيمان معرفة الله وحده فمن عرفه ثم كفر بما سواه (من رسوله أو جنة أو نار أو عمل بجميع المحرمات من قتل النفس واستحلال الزنا وسائر المحرمات فهو كافر بريء من الشرك، ومن جهل بالله تعالى وأنكره فهو مشرك وتأول هؤلاء في عثمان بن عفان مثل تأويل الرافضة في أبي بكر وعمر)[4].

---

[1] الدرجيني، الطبقات، ج1، المصدر السابق، ص ص 7-8.

[2] انظر مثلا كتاب "طبقات المشائخ" للدرجيني، وكتاب "السير" للشماخي، وكتاب "تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان" لعبد الله بن حميد السالمي، مكتبة نور الدين السالمي للنشر والتوزيع، عمان، 1394هـ/1974م، ص 250.

[3] محمد بن عبد الكريم الشهرستاني أبو الفتح، الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية للنشر، ط2، 1413ه/1992م، ص 109.

[4] عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد الخشت، مكتبة ابن سينا للنشر، 1425ه/2003م، ص 83.

وزعم إن عليا هو الحيران الذي ذكره الله في القرآن وأن أصحابه الذين يدعونه إلى الهدى أهل النهروان، وزعم أن عبد الرحمن بن ملجم هو الذي أنزل الله فيه[1] " ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله "[2]، ثم قالوا بعد ذلك (إن الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله عز وجل فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله عز وجل وهذا نقيض بتوحيد الله عز وجل، فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله عز وجل وهذا نقيض قولهم أن الفصل بين الشرك والإيمان معرفة الله وحده، وأن من عرفه فقد برئ من الشرك وإن كفر بما سواه من رسول أو جنة أو نار)، فصار قولهم في هذا الباب متناقضا[3].

ب- **الحارثية**: هم أتباع حارث بن يزيد الإباضي[4]، ومن تعاليم هذه الفرقة:

1- قال في القدر بمثل قول المعتزلة وأن الاستطاعة قبل الفعل.[5]

2- ومن زنى أو سرق أو قذف فإنه يقام عليه الحد ويستتاب مما فعل فإن تاب ترك وإن أبى التوبة قتل على الردة.[6]

3- وتزعم الحارثية أنه لم يكن لهم إمام بعد المحكمة الأولى إلا عبد الله بن إباض وبعده حارث بن زيد.[7]

---

[1] الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت 324هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، عني بتصحيحه هلموت ريتر، دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن، 1980، ط3، ص 102.

[2] سورة البقرة، الآية: 207.

[3] عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي، الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1977، ص 84.

[4] الشهر ستاني، الملل والنحل، المصدر السابق، ص 109.

[5] البغدادي، الفرق بين الفرق، المصدر السابق، ص 84.

[6] العميد عبد الرزاق محمد أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، الدار العربية للموسوعات، بيروت ط 1 - 1980 م، ج3 ص 234.

[7] أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للنشر، 1411ه/1990م، ص 103.

ج- اليزيدية: هم أصحاب يزيد بن أنيسة[1]، كان من البصرة، ثم انتقل إلى جور من أرض فارس وكان على رأي الإباضية وهو من الغلاة، ومن أقواله:

1- أن في هذه ألامه شاهدين عليها: أنا أحدهما والآخر لا أدري من هو ولا متى هو.[2]

2- زعم أن الله سيبعث رسولا من العجم ويترل عليه كتابا من السماء يكتب في السماء ويترل عليه جملة واحدة.[3]

3- وتولى يزيد من شهد لمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب بالنبوة وإن لم يدخل في دينه، وقال: "إن أصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك".[4]

د- أصحاب الطاعة: التي لا يراد بها الله تعالى.[5] وزعموا أنه يصح وجود طاعات كثيرة ممن لا يريد الله تعالى بها، إلا إن ذلك لا يصح إلا في طاعة واحدة[6].

- **التعريف بالإباضية:**

يقول الدكتور عبد العزيز المجدوب: «الإباضية إحدى فرق الخوارج كما هو معروف، تنسب إلى صاحبها عبد الله بن إباض، وهي أكثر هذه الفرق اعتدالا، وأخفها أحكاما على مخالفيها، وألينها مبادئ، فلا غرابة أن نراها باقية إلى اليوم ولها أتباعها ومريدوها في المشرق والمغرب من العالم العربي الإسلامي، ونرى سواها من فرق الخوارج قد بادت، حيث إنها لم

---

[1] الشهر ستاني، الملل والنحل، المصدر السابق، ص 110.

[2] البغدادي، الفرق بين الفرق، المصدر السابق، ص 84.

[3] الأشعري، مقالات الإسلاميين، المصدر السابق، ص 105.

[4] محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن 4ه، دار الثقافة للنشر، المغرب الأقصى، ط1، 1985م، ص 23.

[5] البلاذري، أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ)، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص 213.

[6] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الاسكندرية، ط2، ج2، 1999م، ص 294.

تضمن لنفسها أسباب البقاء، وقد ذكر الشيخ أبو الحسن الأشعري من فرقهم: الحفصية واليزيدية وأصحاب حارث الإباضي، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها على مذهب أبي الهذيل، ثم تفرع عن هذه الفرق أصناف وفرق أخرى.

- **شخصية عبد الله بن إباض:**

هو عبد الله بن إباض التميمي ولد في زمن معاوية (40-60ه) وتوفي في آخر حياة عبد الملك بن مروان، ويعد من أتباع جابر بن زيد الذي توفي سنة 93ه، وقد اهتم بالجوانب السياسية والكلامية والعسكرية والتنظيم والتخطيط لتكوين دولة إسلامية معتمدة على الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين، وفي داره كانت تعقد هذه الحلقات من طرف تلاميذ جابر بن زيد وأنصارهم وقد جاء في الطبقات ما يلي: "كان عبد الله بن إباض أمام أهل الطريق وجامع الكلمة لما وقع التفريق، فهو العمدة في الاعتقادات، والمبين لطرق الاستدلالات والاعتمادات والمؤسس لأبنية هي مستندات الأسلاف والمهدم لما اعتمده أهل الخلاف".[1]

وقد اشتهر بالرسالة التي أرسلها إلى عبد الملك بن مروان الأموي (65-86ه) يبين فيها آراءه وعقائده بكل وضوح، ورأيت من الضروري أن أقدم صلب الرسالة فقط نظرا لطولها، فهي كما يلي:

- **رسالة عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان:**[2]

أما بعد: وكتبت إلي تحذرني الغلو في الدين وأني أعوذ بالله من الغلو في الدين، وسأبين لك ما الغلو في الدين إذا جهلت، فإنه ما كان يقال على الله غير الحق، ويعمل بغير كتابه الذي بين لنا، وسنة نبيه التي سن، وقال الله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾[3].

---

[1] الدرجيني، الطبقات، ج2، المصدر السابق، ص 214.

[2] ابن حميد الحارثي، العقود الفضية في أصول الإباضية، وزارة التراث القومي والثقافة للطباعة، سلطنة عمان، 1403ه/1983م، ص ص 134-137.

[3] سورة النساء، الآية: 171.

كما فعل عثمان والأئمة من بعده وأنت على طاعتهم وتجامعهم على معصية الله وتتبعهم وقد اتبعوا أهوائهم واتبعتهم أنت عليها وقال الله عز وجل: ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾[1]، فهؤلاء أهل الغلو في الدين.

ثم يقول عبد الله بن إباض: إنا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق[2] وأتباعه من الناس لقد كانوا على الإسلام فيما ظهر لنا حين خرجوا، ولكنهم ارتدوا عنه وكفروا بعد إسلامهم فنبرأ إلى الله منهم.

فإنك كتبت إلي أن أكتب بجواب كتابك وأجتهد لك فيه النصيحة، وكان حقا علي أن أنصح لك لما قد علمت أن الله يقول: ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾.[3]

أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عيه وسلم ولتحلوا حلاله ولتحرموا حرامه ولترضوا بحكمه.

- **تحليل مضمون الرسالة:[4]**

إن الأفكار التي نستنتجها من هذه الرسالة تتضمن ما يلي:

1- أن عبد الله بن إباض قد فند رأي عبد الملك بن مروان حول دلالة الغلو، وبين حرصه القوي على سلامة الإسلام الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدين، وبيّن أن المسلم المؤمن هو المطبق لكتاب الله وسنة رسول الله، لا إفراط ولا تفريط – لا إفراط كما غلا ابن الأزرق وجماعته، ولا تفريط في حق كتاب الله كما فعل بنو أمية

[1] سورة المائدة، الآية: 77.

[2] زعيم من زعماء الخوارج يرى أن مرتكب الكبيرة كافر كفر شرك، ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ص 250.

[3] سورة البقرة، الآية: 159.

[4] ابن حميد الحارثي، المرجع السابق، ص ص 137-138.

الذين جرفتهم مفاتن الدنيا، وتركوا حكم الله وفارقوه، فقال: فاتق الله يا عبد الملك ولا تخادع نفسك في بني أمية وسيرتهم.

2- فقام بتقييم سيرة عثمان رضي الله عنه وبني أمية فأكد أن في آخر خلافة عثمان، وقد وقع تبديل وتغيير في نظام الحكم الإسلامي، وقد اعترض حتى الصحابة على سياسة عثمان لإشطاطه في تبديل الولاة وإغداق الأموال على أقربائه.

3- ثم يقول: قد سلكت طريق الضلال الذي سلكه بنو أمية من قبلك واتبعت هواك وهواهم، فدعم هذه الفكرة بالدليل العقلي والنقلي لقول الله عز وجل: ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾[1].

4- أما زعيم الخوارج – أي ابن الأزرق فنحن نتبرأ منه لغلوه وتشدده وإفراطه في الأحكام، حين حكم في المسلمين المذنبين بالكفر، وهذه الفكرة التي تزعمها نافع ابن الأزرق تتنافى مع مبادئ الإسلام، حين حكموا على كل مسلم مذنب بكفر الشرك.

5- فهكذا نجد زعيم الإباضية يتبرأ صراحة من هؤلاء الخوارج أي الأزارقة، وكيف يعقل للباحثين قديما وحديثا أن ينسبوا الإباضية إلى فئة الخوارج الذين أخطأوا فحكموا على مرتكب الكبيرة بالشرك الأكبر واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم، أما الإباضية فتحكم على مرتكب الكبيرة[2] بكفر النفاق والنعمة.

ولا تستحل دماء المسلمين وأموالهم ولا تخرجهم من ملة الإسلام مطلقا.

---

[1] سورة المائدة، الآية: 77.

[2] الكبيرة: الإثم العظيم المنهى عنه شرعا كقتل النفس، والجمع: كبائر، وقد اختلف علماء الكلام في تعريفها، والكبيرة ما اوعد الله عليها النكال في الدنيا والعذاب في الاخرة، والكبائر منها معلوم، وقال بعض على التقريب: إن الكبائر سبعة لقوله عليه الصلاة والسلام: "اجتنبوا الكبائر السبع الموبقات تنجوا: الشرك بالله، والقتل، والسحر، وأكل الربا، وأكل أموال الناس ظلما، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين" فلابد من الفرز بين كبائر الشرك وكبائر النفاق، ينظر: بكير بن سعيد أعوشت، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، مكتبة وهبة للنشر، ط3، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1408هـ/1988م، ص 63.

6- وفي الختام قال: أجتهد لك في النصيحة لأن الدين نصيحة، عليك أن تكون إمام هدى فهو يحكم بما أنزل الله، فمن لم ينفعه كتاب الله لم ينفعه غيره، فإن هذه الرسالة وقد انطلقت من الوازع الديني، وهذا الوازع انبثق من عقيدة صلبة تجعل الحكم خالصا لله وحده، ومنبثقا من كتاب الله وسنة رسول الله، وتجعل هذا الحكم ثابتا لا يتغير بتغير الأحوال والملابسات السياسية.

المبحث الثاني: المرتكزات العقائدية للمذهب الإباضي.

1/ الآراء والاعتقادات:

أما أبرز معتقداتهم فيذكر عبد العزيز المجدوب أن «..أبرز ما يتصف به الإباضيون تمسُّكُهم الشديد بالدين، بأداء فروضه، وتجنب منهياته إلى حد يثير الإعجاب ويدعو للاعتبار، وبُغضهم المفرط لأصحاب الظلم والفساد، وبفضل هاتين الصفتين استطاعوا أن يُحققوا لأنفسهم عزًّا دينيا ومجدًا سياسيا، خلَّدَ ذكرهما التاريخ...»[1].

ويقول محمود إسماعيل: «والواقع أن الاعتدال هو السمة الواضحة لعقائد الإباضية، إذ إنهم يحرِّمون دماء المسلمين وسَبيَ ذَراريهم وغنيمةَ أموالهم، كما أنهم اعتبروا دُور مخالِفيهم دارَ توحيد إلاَّ معسكر السلطان فإنه دار بَغي، وأجازوا مناكحتهم وموارثتهم وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب، وحرَّموا قتلهم وسبيَهم في السرِّ غيلةً إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة. وقالوا في مرتكبي الكبائر إنهم موحِّدون، وإن كفروا، كفر النعمة لا كفر الملة. وتوقفوا في أطفال المشركين وجوَّزوا تعذيبَهم على سبيل الانتقام. ولعل طابعَ الاعتدال في عقائد الإباضية هذه هو ما جعلهم أقربَ فرق الخوارج إلى أهل السنة »[2].

---

[1] عبد العزيز المجذوب، الصراع المذهبي بإفريقية، دار ابن حزم للنشر و التوزيع، بيروت، ط1، 2008، ص 118.

[2] الدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة –الدار البيضاء–الطبعة الثانية/1985، ص:51، وانظر كذلك: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ج7، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل، ليدن،1891، ص:217/ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة، ج6 ، 1963، ص:320/البغدادي: الفرق بين الفرق، المصدر السابق، ص:105.

ويضيف الدكتور أحمد جلي أن الإباضيين: «..لا يقولون بأن دار مخالفيهم دار حرب، ولا يحكمون بالشرك على من خالفهم، ومن ثم لا يجيزون قتال من لم يقاتلهم، ومن قاتلوهم لا يستبيحون أخذ أموالهم كغنائم، ولا قتل نسائهم وأطفالهم، ولا سبيهم، ولا يعتبرون الخروج فرضا لازما، بل أباحوا لأفراد جماعتهم العيش في ظل حكم الطغاة تقية، للضرورة، ويذهبون إلى أن الشَّراء، أو بذلَ النفس أمرٌ طوعي إذا فرضه الخارجون على أنفسهم »[1]، ويضيف أيضا: « ورغم تأكيد الإباضية وسعيهم إلى اعتبارهم مذهبا من المذاهب الإسلامية، لا صلة له بجماعة الخوارج، ورغم أن كثيرا من كتاب الفرق- قدماء ومحدثين- أقرُّوا بأن الإباضية أكثر الفرق الخارجة اعتدالاً، وأقربها تفكيرا ورأيا وسلوكا إلى أهل السنة- بالرغم من هذ- فقد نسبت إلى الإباضية بعض الآراء التي يبدو فيها التطرف، ويحتمل ظاهرها الخروج.. فمما نسب إلى الإباضية القول بأن مخالفيهم من المسلمين ليسوا مشركين، ولا مؤمنين بل سموهم كفارا، ويقولون: إنهم كفار نعمة لا كفارا في الاعتقاد..» ويستخلص الكاتب- بعد ذلك-«أن الإباضية لا يحكمون على مجتمع من المجتمعات التي يقطنها المسلمون بالكفر، كما أجازوا مناكحة مخالفيهم، وموارثتهم، وقبول شهادتهم، وحرموا قتلهم في السر غيلة إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة، فإن قام القتال أباحوا من أموالهم غنيمة الخيل والسلاح..»[2].

ويلاحظ سعد رستم أن: «عقائدهم في الإلهيات-أي التوحيد والتنزيه والصفات وخلق القرآن والعدل الإلهي والقضاء والقدر، أي مسألة الجبر والاختيار- متطابقة مع عقائد الشيعة والمعتزلة.. وأما فقههم فهو مدرسة فقهية اجتهادية مستقلة، لكنها لا تبعد في آرائها عن فقه المدارس الفقهية الأربعة لأهل السنة والجماعة»[3].

وأما أهم مميزاتهم فيقول أحمد جلي: «ويتميز هؤلاء بتمسكهم بتقاليد وتعاليم وآداب المذهب الإباضي في نظمهم الاجتماعية، ووسائل التربية لأفراد جماعتهم، حيث يسود مجتمعهم نظم اجتماعية، وآداب توارثوها منذ القرن الخامس الهجري، حينما شعر الإباضية بأنه لم يعد بإمكانهم إقامة دولة تحمي جماعتهم، فوضعوا هذا النظام حفاظا على أفراد جماعتهم من الانحلال والذوبان في المجتمعات الأخرى، ويطلق على هذا النظام "نظام العزابة" وهو عبارة عن مجلس يهتم بشؤون أفراد الجماعة، ويمارس نوعا من

---

[1] أحمد جلي أحمد محمد، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة، مركز الملك للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1406هـ/1986م، ص: 91.

[2] المرجع نفسه، ص: 91.

[3] سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، الأوائل للنشر والتوزيع، ط3، دمشق، 2005، ص ص: 207-208.

الرقابة على سلوكهم، ويعتمد على التوجيه والمحاسبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويستند إلى مبدأ الولاية والبراءة للأفراد والجماعات، فمن ارتكب معصية تُبرئ منه، وعُزل عن المجتمع إلى أن يتوب، فإن تاب تولاَّهُ أفراد المجتمع، وقد أحدث هذا النظام- كما يقول أحد الإباضية المعاصرين- انضباطا في السلوك، والمحافظة على قيم الدين وواجباته، والمحافظة على الأخلاق والآداب.. ولكن من ناحية أخرى كان لنظام العزابة سلبياته المتمثلة في القسوة الشديدة التي فرضها على أتباع المذهب، فحرَمَهم بها من مَتاعِ الحياة المُباح، كما عزَلَ أتباع المذهب عن بقية إخوانهم من أصحاب المذاهب الإسلامية، بدعوى السرية والمحافظة على تراثهم، ومن ثم أوجد فجوة بين الإباضية وبين إخوانهم في الدين، من أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى..»[1]، ويقول سعد رستم عن هذه الهيأة: «وهي هيئة محدودة العدد تمثل خيرة أهل البلد علما وصلاحا، تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية، كما تمثل مجلس الشورى في زمن الظهور والدفاع، أما في زمن الشَّرَاء والكِتمان، فإنها تقوم بعمل الإمام، وتُمثِّله في مهامِّه»[2].

2/ الأصول العقائدية:[3]

1- الأصل الأول: التوحيد.

يقول الاباضية : إن الله واحد في ذاته وصفاته وإن ذات الله وصفاته شيء واحد ولا يشاركه فيه شيء ما بأي حال من الأحوال وبأي وجه كان مع الإقرار والاعتقاد بأن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، أي : أن الله هو المالك الوحيد الخالق لهذا الكون والمدبر الوحيد الكامل لكل

---

[1] أحمد جلي، دراسة عن الفرق، المرجع السابق، ص ص: 97-98 وانظر: علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1964م، ص:125، وكذا: عوض محمد خليفات، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية، عمان، طبعة/1982، ص ص: 91-94.

[2] سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص:207.

[3] من الكتب الكثيرة جدا التي تتحدث عن عقائد الإباضية: ينظر: ابن جميع أبو حفص عمر، مقدمة التوحيد، شرح أبي العباس الشماخي وأبي سليمان الثلاثي، ط2، الجزائر، 1392هـ/1973م. ينظر أيضا: أبو عمار عبد الكافي، الموجز (آراء الخوارج الكلامية)، تحقيق عمار طالبي جزءان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1398هـ/1978م. ينظر أيضا: علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث، مكتبة وهبة، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1396هـ/1976م، ص 115.

ما يقع من أحداث وأن محمد رسول الله خاتم الأنبياء والرسل ورسالته حق على العالمين مع الإلزام بتطبيقها واتباعها في هذه الحياة.

2-الأصل الثاني : الصفات الإلهية.

يؤكد الإباضية بان صفات الكمال لله عز وجل وهي جوهره أي ذاته ، لكن المذاهب الكلامية الأخرى قد اختلفت في ماهية الصفات الالهية فهل هي غير ذاته ؟

فالأشعرية ترى ان صفات الله غيره وهي قديمة بقدمه تعالى معنى هذا ان العلم صفة ثابتة قديمة من صفاته تعالى ولكنها ليست جوهره أي ذاته . فلا يقال ان الله مريد بإرادة وإرادته ذاته ، أما الإباضية تقول : أن صفات الله هي عين ذاته والله قادر بذاته أي أن ذاته كافية في التأثير في جميع المقدورات ، فصفات الله عز وجل هي عين ذاته لأن الله قديم وصفة القديم مثله في القدم، فإذا كانت شيئًا غيره كان هناك قديمان أو أكثر وهو تصور يتنافى مع أصل التوحيد ولا يجوز اعتبار الصفات مستقلة محدثة إذ يصبح الله محتاج إلى أعراض وأجزاء ويغدو مركباً وهذا يتنافى ووحدانية الله.

3- الأصل الثالث : الإيمان.

الإباضية يرون أن الدين والإيمان والإسلام أسماء لشيء واحد وهو طاعة الله تعالى وتطبيق قواعد الإسلام تطبيقًا عمليًا[1] لذا قيل في التوحيد عند الإباضية : إن قيل لك : ما قواعد الإسلام ؟ فقل: أربعة، العلم والعمل والنية والورع . فالإسلام لا يصح إلا بهذه الأركان الأربعة ولا يجوز الفصل بين القول والعمل.

القول هو :

الإقرار بالله أنه لا إله إلا هو وبمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي بأنه عبدالله ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو المشركون وختم به أنبيائه

[1] أبو زهرة الإمام محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ص 60.

وفضله على جميع خلقه ، والإتيان بجميع أركان الإسلام واجتناب جميع المحرمات والوقوف عند الشبهات،[1] فهذه الأصول تناقض رأي المرجئة التي ترى أن الأعمال شيء واحد وأن العمال شيء آخر ، فالإيمان في زعمها هو التصديق بالقلب فقط إلا أن الإباضية يؤكدون أن الإيمان بدون تطبيق فرائض الإسلام لامعنى له وإلا أصبح فكرة جوفاء، وأما الأشعرية فترى الإيمان : من أتى بالقول وضيع العمل وهذا الإنسان تراه مسلمًا عاصيًا مذنبًا فليس بمشرك، أما الإباضية فتراه فاسقًا عاصيا موحدًا ولا يخرج عن ملة الإسلام وتجري عليه أحكام الإسلام والمسلمين. وقد اعتنقت المعتزلة والشيعة والزيدية رأي الإباضية في هذا الأصل[2].

4- الأصل الرابع: نفي رؤية الله عز وجل.

عندما نفي الإباضية رؤية الله عز وجل، كان ذلك عن حق منهم فهم فتحوا باب الاجتهاد والتأويل معتمدين في ذلك على الأدلة العقلية والنقلية لتدعيم النص القرآني المتشابه بالدليل اللغوي المتمثل في لغة العرب في الجاهلية، وهذا يؤكد سمو وعلو المستوى العقلي الذي يتمتع به الفكر الإباضي في فهم وإدراك المجازات اللغوية والابتعاد عن الاتجاه التجسمي الذي لا يؤمن إلا بما هو متصور ومحسوس وله نظير وشبيه في الواقع المادي . فالإباضية يرون في كتاب الله عز وجل ظاهرا وباطنا، فقول الله عز وجل : "وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة "[3] هذه الآية من المتشابهات يجب تأويلها لغويًا وعقليًا في آن واحد لأن اللغة هي الفكر فهي تحمل المعاني الفكرية ، ويفهم منها الرجاء وانتظار رحمة الله للدخول في الجنة بعد الفراغ من الحساب، ولا يعني الرؤية بالأبصار، ثم إن هذه الآية تدعمها وتوافقها الآية الكريمة : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾[4] وهذا الاستدلال العقلي والاجتهاد النظري يعد وسيلة لإثبات وتوكيد

---

[1] الأصول العقائدية عند الإباضية ، بتاريخ: 2017/03/24، على الساعة: 20:34. على الموقع الالكتروني: http://www.alfida.jeeran.com/ipadia.htm

[2] خميس بن راشد العدوي، دراسة في المنهج العقدي الإباضي، طبع مكتبة الغبيراء، سلطنة عمان، د.ت، ص 96.

[3] سورة القيامة، الآية: 23.

[4] سورة الأنعام، الآية: 103.

توحيد الله تعالى وتنـــزيهه من كل شيء.

أما الأدلة العقلية فتمثلت فيما يلي : لو أمكنت رؤية الله تعالى لكان جسمًا ومتحيزًا وموجودًا في مكان أمام حواسنا أو كونه في حكم المقابلة كما في المرئى بالمرآة وكذلك عدم غاية القرب فإن المبصر إذا التصق بسطح البصر بطل إدراكه بالكلية ، فبعد هذه الأدلة فإن الإباضية تجزم بامتناع رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة.[1]

5- الأصل الخامس : القدر.

الإباضية أعطت للقدر مفهومًا أصيلاً يتمثل في القدرة المرتبطة بالمقدور بمعنى الكسب، أي للإنسان القدرة على الفعل والله عز وجل خلق فينا القدرة ولا يحاسبنا على هذه القدرة بل أن الحساب ينصب على الأعمال التي اكتسبها الإنسان اكتسابًا عن طريق جوارحه وإرادته الحرة، كالمسلم الذي صام رمضان فأكل يومًا متعمدًا، فإن ظاهرة الجوع والعطش أمر جبري من عند الله لأننا لا يمكن أن نزيل دوافعنا الفطرية أما التعمد في الأكل وعدم ضبط الدوافع بإرادة قوية فأمر مكتسب من الإنسان ذاته، إذن ليس هناك تعارض بين إرادة الله عز وجل وعمله الأزلي القديم مسبقًا وبين كسب الانسان، فالله يعذب على المقدور ولا يعذب على القدر.

الخلاصة:

إن المؤمن الصالح عليه أن يعتقد بالقدر خيره وشره أنه من الله ولن يبلغ حقيقة الإيمان حتى يؤمن بذلك مع العمل الدائم وعدم التواكل اعتمادًا على سيرة الرسول وأقواله حين قال أعرابي للرسول صلى الله عليه وسلم: أرسل ناقتي وأتوكل على الله؟ قال : بل اعقلها وتوكل.

6- الأصل السادس: العدل والوعد والوعيد.

إن قضية الوعد والوعيد أي الثواب والعقاب تعد أصلاً من أصول العقائد الاباضية،[2] فهي المرتبطة بالعدل الإلهي الذي يعطي لكل ذي حق حقه ولا ينسب إليه الجور والظلم تعالى الله

[1] علي بن محمد الحجري، الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات، ط1، سنة 1420هـ، ص 42.

[2] علي بن محمد الحجري، المرجع نفسه، ص 50.

عن ذلك، فلا يحكم على أحد بما ليس أهلاً له، ولا يفعل بأحد ما لم يكن أهلاً له فحكمه على القاتل بالقتل عدل، وقطع يد السارق عدل، ورجم الزاني والزانية عدل، وعد الطائع بالجنة عدل، وتوعد العاصي بالنار عدل وعقاب إن مات بدون توبة، وإلا أصبحت أوامر الله تعالى كاذبة ومتناقضة مع النصوص القرآنية وعدالته المطلقة فالله عادل لا يظلم أحد وسوف ينفذ وعيده الخالد الأبدي في حق الكافرين العصاة وكذلك سينفذ وعده الخالد الأبدي في حق المؤمنين الصادقين، فالإباضية دحضوا رأي المرجئة والحشوية بالدليل العقلي والنقلي[1] حين زعمت أن الله سيخلف وعيده لأهل الكبائر والعصاة من المسلمين ولا يخلف وعده وعللوا ذلك بقوله تعالى :﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم﴾[2]. ولكنهم أجيبوا بالدليل النقلي في قوله تعالى :﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين ﴾[3]. صدق الله العظيم

الخلاصة:

إن الإباضية يرون أن أهل الكبائر من المسلمين بدون توبة كانوا عصاة أو فاسقين فهم مخلدون في النار أبدًا ودائمًا، وأما المؤمنون فهم مخلدون في الجنة دائمًا وأبدًا.

7- الأصل السابع : الشفاعة.

يرى الإباضية أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لن تكون لمن مات وهو مصر على الكبائر، وإنما تكون للمؤمنين كافة لتخفيف عليهم يوم الحشر والتعجيل بهم للدخول في الجنة أو زيادة درجة لبعض المؤمنين الذين ماتوا على الوفاء والتوبة النصوح.[4]

---

[1] عمرو خليفة النامي، دراسات عن الإباضية، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001، ص 120.

[2] سورة الزمر، الآية: 53.

[3] سورة النساء، الآية: 14.

[4] http://www.alfida.jeeran.com/ipadia.htm, op.cit.

8-الأصل الثامن : خلق القرآن الكريم.[1]

الإباضية تؤكد على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى وأنه مخلوق له تعالى لفظه وكلماته سوره ومعناه إلا ما قام الدليل على قدم معناه فقط كلفظ الجلالة والرحمن الرحيم لوصفه تعالى له بكونه منزلاً من عنده، وهذه الفكرة مرتبطة بالتصور النقي الخالص لفكرة التنزيه للذات الالهية عن كل مماثلة، لما يحتمل تصوره ووجوده من المحدثات الحسية الواقعية، فالقرآن الكريم شيء من الأشياء الموجودة، فهو يكون محدثًا أي مخلوقًا، أو غير محدث، والله الخالق لكل شيء، والدليل على ذلك قوله تعالى :﴿ إنا جعلناه قرآنًا عربيًا ﴾[2] وقوله تعالى :﴿ وجعلنا اليل والنهار آيتين ﴾[3] هذه الآية الخيرة في غير القرآن من الخلق ثم إن الله عز وجل بيّن أن القرآن الكريم محدث فقال :﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾[4] وقال :﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ﴾[5] وقال في غير القرآن من الخلق :﴿ وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾[6] صدق الله العظيم.

9-الأصل التاسع: لا منزلة بين المنـــزلتين.

في هذه القضية قضية الكفر والإيمان التي أثيرت في الفكر الإسلامي: هل المسلم إذا ارتكب كبيرة من الكبائر يفقد صفة الإيمان؟

فيقول الإباضية في هذه القضية: أن من أقر بوحدانية الله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه ضيع الفرائض الدينية أو ارتكب كبائر، فتسميه موحدًا وليس بمؤمن ولا بمشرك،[7] وأن مرتكب الكبيرة يعد كافر كفر نعمة وليس كافر كفر شرك لقوله تعالى :﴿ ومن لم يحكم بما

---

[1] علي بن محمد الحجري، المرجع السابق، ص 51.

[2] سورة الزخرف، الآية: 3.

[3] سورة الإسراء، الآية: 12.

[4] سورة الأنبياء، الآية: 2.

[5] سورة الأعراف، الآية: 52.

[6] سورة الإسراء، الآية: 12.

[7] بكير بن سعيد أعوشت، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، المصدر السابق، ص 118.

أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[1]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ليس بين العبد والكفر إلا تركه الصلاة".

فالكفر عند الإباضية ينقسم إلى:[2]

- كفر نعمة ونفاق: يتمثل في المسلم الذي ضيع الفرائض الدينية أو ارتكب الكبائر وأجمع بينهما.
- كفر شرك وجحود: ويتمثل في الإنسان الذي يجحد بالله وآياته ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فهنا يعد خارجًا عن ملة الإسلام.

فرأي الإباضية واضح جدًا في شأن المسلمين، فهي تعدهم في الملة الإسلامية وتجري عليهم أحكام المسلمين ويحرم أن تستحل دماؤهم وأموالهم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها).

فهم يختلفون عن إخوانهم الإباضية في العقيدة الإسلامية وجوانبها الاجتماعية.

---

[1] سورة المائدة، الآية: 44.

[2] بكير بن سعيد أعوشت، المصدر السابق، ص 119.

الفصل الثاني:

انتقال المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب وتطوره السياسي قبل قيام الدولة الرستمية.

المبحث الأول: العوامل التي أدت إلى انتشار المذهب الإباضي في المغرب العربي.

أثرت دعوة الاباضية تأثيراً كبيراً في البربر وذلك لتعلقهم بالعدل والمساواة وحبهم للحرية، فقد كانت الظروف في بلاد المغرب مهيّأة لتقبل المذهب الإباضي، إذ كانت بلاد المغرب – كغيرها من البلاد الإسلامية – تعاني من الفتن السياسية الناجمة عن الخصومات القبلية بين القيسية واليمنية، فعرب الفتح الذين استقروا في المغرب كانوا من اليمنية وهم الذين آزروا موسى بن نصير خلال ولايته التي استمرت حتى عام (96ه)، وعندما عزل الخليفة سليمان بن عبد الملك[1] موسى بن نصير، ولى محمد بن يزيد القرشي وكان قيسياً، قام هذا الوالي – وبتحريض من الخليفة – بتصفية آل موسى، إذ تتبعهم وبطش بهم واستولى على أموالهم وأودع عبد الله ابن موسى السجن وفرض عليه ما لا يطيق من المغارم وعذبه حتى مات.

ثم عاد نفوذ اليمنية في ولاية يزيد بن أبي مسلم (101-103ه)، فسجن يزيد بن محمد وعذبه، انتقاما لما لقيته اليمنية على يديه من عسف واضطهاد، وبعد موت يزيد بن أبي مسلم تولى بشر بن صفوان[2]، وكان من غلاة اليمنية، فاستمر في اضطهاد القيسية وقام قبل موته بتعيين نقاش بن قرط الكلبي المغربي، امعاناً في إذلال القيسية.

وحين ولى الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125ه) عبيدة بن عبد الرحمن القيسي ولاية الغرب، قام بتتبع عمال موسى بن نصير حتى استأصل شأفتهم، واستمرت المحنة في عهد عبد الله بن الحبحاب الذي تقلد ولاية المغرب سنة 116ه.

---

[1] تولى الخلافة من سنة (96-99هـ)، انظر الكندي: الولاة والقضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1424ه/2003م، ص ص 66-67.

[2] ولّى مصر قبل يزيد بن عبد الملك سنة 101هـ، ثم ورد إليه كتاب يزيد بتأميره على افريقية سنة 102هـ، ثم ولّاه هشام بن عبد الملك على افريقية حتى توفي بالقيروان سنة 109هـ. انظر: البلاذري: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال-بيروت، 1988م، ص 274، الكندي، الولاة والقضاة، المصدر السابق، ص ص 70-71.

وبالإضافة إلى انشغال الولاة بالخصومات القبلية، فقد تنافسوا على جمع الأموال إرضاء للخلافة من جهة، وكسباً للأنصار وإشباعاً لنهمهم من جهة أخرى، فأرسلوا الحملات إلى أطراف المغرب بهدف السلب والنهب، وكان البربر يشكلون غالبية تلك الجيوش.

وقد عانى البربر من سوء معاملة عمال الأمويين لهم، وإرهاقهم بالمغارم والجبايات إلى درجة أن اعتبر بعضهم بلاد المغرب دار حرب، حتى بعد اعتناقهم الإسلام، جرياً على سياسة الخلافة الأموية في سائر الأمصار الإسلامية[1]، ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة – (99-101ه)- ولى المغرب إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم[2]، في محاولة منه لوضع حد لتسلط الولاة، واستعادة ثقة البربر في الخلافة الإسلامية.

أمر إسماعيل بن عبيد الله بإسقاط الجزية عن من أسلم من البربر وتحرير من استرق من نسائهم، كما أمره بإقرار القرى في يد غنامها، بعد أخذ الخمس لتؤول الأرض إلى أصحابها فيجنوا ثمارها، ويدفعون عنها خراجها المعلوم، كما حرص الخليفة على أن يجمع إسماعيل بن عبيد الله بين أعباء الإدارة والحرب، إلى جانب جمع الخراج والصدقات ليحول دون جور الجباة واستبدادهم، لكن هذه السياسة انتهت بوفاته[3].

فعندما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة[4]، ولى يزيد بن أبي مسلم سنة (102ه) فاستبد بالبربر، وقضى على الإصلاحات التي أنجزها سلفه، فأعاد فرض الجزية على من أسلم من الموالي، ليتسنى للخلافة الحصول على مزيد من الأموال والتنصل من دفع مزيد من الأعطيات للجند المسلمين من الموالي، واشتط

---

[1] ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والأندلس، الجزائر، 1942م، ص ص 106-118. د.سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، الناشر منشأة المعارف، ط1، ج4، 1998م، ص ص 233-234، ينظر أيضا: د.محمود إسماعيل، الخلافة والخوارج، دار العودة، بيروت، 1976م، ص ص 28-29. أيضا: محمد علي دبوز، تاريخ المغرب، ج2، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر 1964م، ط1، ص 170.

[2] البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص 273.

[3] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 108، البلاذري، المصدر السابق، ص 273.

[4] يزيد بن عبد الملك بن مروان: ولى الخلافة بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة 101هـ، وتوفي سنة 105هـ. انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط1، مصر، 1371هـ/ 1952م، ص 247.

في معاملة البربر، لدرجة أنه كان يشم حرسه من البربر على أيديهم، فكان يشم الرجل في يده اليمنى باسمه، وفي اليسرى بكلمة حرس[1]، وجرى عبيدة بن عبد الرحمن على سياسة العنف هذه.

وتفاقمت الأحوال وازدادت سوءاً خلال ولاية عبد الله بن الحبحاب[2] الذي أسرف في سياسته، فجند الجيوش لسلب البربر وسبيهم في أقاصي المغرب، ونشر الهلع والرعب في تلك المناطق، وعين ابنه إسماعيل على طنجة، وجعل معه عمر بن عبد الله المرادي فأساء السيرة، واعتبر البربر فيئاً – أسلما أم لم يسلموا – وعاملهم معاملة الرقيق.

وهكذا تسبب الولاة الأمويون في المغرب في إثارة مشاعر الحقد والكراهية عند البربر على الولاة والخلفاء على السواء، مما أوجد مناخاً ملائماً لانتشار المذهب الإباضي[3]، ولذلك سار الإباضيون في اتجاهين يكمل أحدهما الآخر:

- ✓ **الاتجاه الأول**: علمي سياسي يهدف إلى توضيح مبادئهم، وتمثل ذلك في تبادل الرسائل بين ابن إباض والمخالفين لآراء الإباضية يبين فيها موقف الإباضية من المخالفين لهم وفلسفتهم وفكرهم السياسي، وبعد ابن إباض يظهر هذا الاتجاه في مدرسة البصرة الإباضية بزعمائها الذين عكفوا على تعليم المذهب لأهل جماعتهم، والتأليف فيه.

---

[1] يقول البلاذري: لما ولي يزيد بن عبد الملك، ولى يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف افريقية والمغرب، فقدم افريقية في سنة اثنتين ومائة، وكان حرسه من البربر فوشم كل امرئ منهم على يده حرس، فأنكروا ذلك وملوا سيرته، فدب بعضهم إلى بعض وتضافروا على قتله، فخرج ذات عشية لصلاة المغرب، فقتلوه في مصلاه، انظر: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص ص 273-274.

[2] ولاه هشام بن عبد الملك افريقية سنة 116هـ وقتل سنة 123هـ، انظر: ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والأندلس، المصدر السابق، ص 120.

[3] محمود إسماعيل، الخلافة والخوارج، المصدر السابق، ص 30. ينظر أيضا: محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج2، المصدر السابق، ص 219.

✓ أما **الاتجاه الثاني**: فهو الاتجاه العلمي، الذي تمثل في الخروج على الأمويين ومحاولة إيجاد سلطان فعلي لهم يعلون به مذهبهم، ويحملون المجتمع على العمل بمبادئه، وكان هذا الاتجاه تحت رعاية الاتجاه الأول[1].

وأول من دعا إلى المذهب الإباضي في افريقية سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرومي، وذلك في أوائل المائة الثانية من الهجرة، وكان سلمة شديد التمسك بالمذهب الإباضي، فيؤثر عنه قوله: "وددت أن يظهر هذا الأمر بالمغرب يوما واحدا من غدوة الليل فما أبالي أن يضرب عنقي"[2].

وقد طاف سلمة بن سعد جميع بلاد المغرب الإسلامي، وكان يرى أنه يجب على المسلمين أن ينتقدوا الانحراف، وينهوا عن المنكر، ولكنه لا يتعجل الثورة، ولا يدعو إلى رفع السلاح، إلا حينما يكون في ذلك مصلحة الأمة.

وكان يقصر عمله على ناحيتين، الأولى: أن يبين للناس أن ما يرون في سلوك الأفراد الحاكمين ليس هو ما جاء في دين الله، وأن هؤلاء الحكام قد خالفوا أمر الله في عباد الله، وأموالهم، ودمائهم، وأنه يجب على أفراد الأمة أن يتمسكوا بدين الله، وأن يعملوا به في أنفسهم فإن صانوه في أنفسهم صانوه في نظامهم.

أما الناحية الثانية: فكان يتخير الشباب الذين يتوسم فيهم الصفاء والذكاء والنبوغ، ويدعوهم إلى السفر إلى المشرق لاستكمال دراستهم على كبار تابعي التابعين الذين تمتلئ بهم العواصم الإسلامية في المشرق، واستمر سلمة يدعو إلى التفقه في الدين وفهمه فهماً صحيحاً من المؤمنين الصادقين، وكان

---

[1] سالم بن حمود السمائلي، إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، وزارة التراث القومي والثقافة للنشر والتوزيع، 1979م، ص ص 64-65، ينظر أيضا: السمائلي، الحقيقة والمجاز، سلطنة عمان، 1980، ص 41، ينظر أيضا: سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب، دار المعارف الاسكندرية، 1964، ص ص 288-289.

[2] علي يحيى معمر، الاباضية في الجزائر، المصدر السابق، ص ص 23-24.

يدعو الناس إلى السفر إلى منازل الوحي وإلى مرابع الإسلام حيث ثبت واستقر في قلوب المؤمنين، وانعكس على سلوكهم، فكانوا مظهراً حقيقياً له.[1]

حملة العلم الخمسة:

كوّن سلمة بن سعد بعثة من أربعة طلاب للسفر إلى البصرة وهم:

- ✓ إسماعيل بن درار الغدامسي، من غدامس جنوبي طرابلس.
- ✓ أبو داود القبلي النفزاوي، من نفزاوة جنوبي تونس.
- ✓ عاصم السدراتي، من غرب الأوراسي.
- ✓ عبد الرحمن بن رستم، من القيروان.

توجه هؤلاء إلى البصرة حيث انضم إليهم عبد الأعلى بن السمح أبو الخطاب الحميري اليمني، وقد عرفوا بحملة العلم الخمسة حيث ظلوا في صحبة أبي عبيدة مسلم يتلقون العلم على يديه ويعدون العدة للظهور.

هم خمسة طلبة، أربعة منهم من بلاد المغرب تنقلوا إلى البصرة للتعلم على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، لم تتناول المصادر كيف التقوا أو انتقلوا إلى البصرة، فإذا جئنا إلى كل فرد من البعثة نجده من منطقة مختلفة فكيف تم اتفاقهم، والتقاؤهم؟ وهل كانت هناك مجالس يلتقون فيها مثل المجالس التي عقدها الإباضية في المشرق في تلك الفترة؟ وهل كانت سرية؟ وهل بالفعل سلمة بن سعد من بعثهم وعمل على انتقائهم كما ذهبت إلى ذلك بعض المراجع؟

للإجابة عن هذه التساؤلات يجدر بنا البحث في سيرة كل فرد من هذه البعثة.

[1] السمائلي، إزالة الوعثاء، المصدر السابق، ص ص 57-58.

الملاحظ أن المصادر لم تذكر عنهم شيئا بالتفصيل عدا عبد الرحمن بن رستم[1]، وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[2] لربما لأن المصادر اهتمت بالتأريخ للأحداث السياسية أكثر لأنهما أسسا إمامتين، وبقية البعثة هم إسماعيل بن درار الغدامسي[3]، وعاصم السدراتي[4] وأبو داوود القبلي[5] من نفزاوة ببلاد الجريد جنوب تونس.

وكانت الدعوة الإباضية في تلك المرحلة تمر بمرحلة الكتمان، فكان الشيخ أبو عبيدة مستخفياً متخوفاً من بعض أمراء البصرة، فأدخلهم سرداباً وجعل فيه سلسلة فصار يعمل القفاف بباب السرداب، فمتى رأى شخصاً مقبلاً حرك السلسلة فيسكتون، فإذا انصرف فيأخذون في عزمهم.[6]

---

[1] هو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى فارسي الأصل، ولد بالعراق وقدم إلى القيروان مع والدته عندما توفي والده بالحج تزوجت بواحد من حجاج المغرب الذين التقوا بهم، فنشأ بالقيروان. ينظر: أبو زكرياء، كتاب السيرة، ص 58، الدرجيني، طبقات، ج1، المصدر السابق، ص ص: 19-20. الشماخي: سير، المصدر السابق، ص ص: 123-124.

[2] يمني الأصل لم ينتقل مع حملة العلم من بلاد المغرب بل التقى معهم في مكة، وتنقلوا إلى البصرة ورجع معهم عند عودتهم إلى بلاد المغرب، سمح له أبو عبيدة بأن يفتي بما سمع منه، أما حياته قبل مجيئه إلى بلاد المغرب فلم ترد في المصادر المغربية. ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ص 21، الشماخي، المصدر السابق، ص ص: 123-124، علي يحيى معمر، الإباضية في ليبيا، المرجع السابق، ص ص: 49-54.

[3] لا تروي عنه المصادر الكثير فقط أنه سأل أبا عبيدة ثلاث مائة مسألة عند تأهبهم للرحيل من عنده، وأنه جلس للقضاء، ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ص 21، الشماخي، المصدر السابق، ص 141.

[4] يقول عنه ابن سلام (ص.129) أنه من خيار شيوخ البربر، والشماخي (ص 141) يقول: "جمع العلم والعمل والجهاد والحزم والعزم والرأي...".

[5] شيخ مشهور وعالم أخذ عن أبي عبيدة، ويذكر بأنه لم يسمح له بالإفتاء سواء سمع منه أو لم يسمع، ينظر: الشماخي، المصدر نفسه، ص 144.

[6] أبو زكريا: السيرة، المصدر السابق، ص ص 57-59، ينظر أيضا: السمائلي: إزالة الوعثاء، المصدر السابق، ص ص 57-58، الزاوي، تاريخ الفتح، المرجع السابق، ص 121.

المبحث الثاني: التطور السياسي للمذهب الإباضي وانعكاساته بالمغرب قبل قيام الدولة الرستمية.

إن التحدث عن الأوضاع السياسية العامة في المغرب الإسلامي قبل سنة 160ه، تاريخ تأسيس الدولة الرستمية، يأخذنا للحديث عن أوضاع المشرق العربي، إذ أن المغرب كان في هذه الفترة مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بالمشرق، وهو في نفس الوقت على أبواب الانفصال عنه سياسيا، وإداريا شيئاً فشيئاً.

إن الملاحظ لأوضاع المشرق العربي قبل سنة 160ه يجدها تتميز فيما تتميز به من خصائص، بميزتين اثنتين هما:

1- ثورات الإباضية والخوارج.

2- انهيار الدولة الأموية، لتحل محلها الدولة العباسية سنة 132ه وما رافق كل ذلك من أحداث.

فالمتدبر في هاتين الميزتين، والعلاقة بينهما، يلاحظ جيداً مدى تأثير إحداهما على الأخرى، إذ أن للإباضية والخوارج الدور الأساسي في إسقاط الدولة الأموية، حيث أنها استنزفت قواها، وأرهقت خزينتها بتكاليف محاربتهم دون جدوى، فكلما قضت على ثورة لهم اندلعت أخرى.[1]

والحقيقة أن السلطة الأموية بدورها كانت قد أضعفت الإباضية والخوارج ولاحقتهما في كل مكان، وقتلت من زعمائها عدداً كبيراً، مما دفعهما إلى التفكير جدياً في مصير حركتهما، وبالتالي إيجاد طرق جديدة لاستمرارهما[2]، ومن هنا فكرا في التوجيه نحو الأماكن القصوى بعيداً عن مركز الخلافة، فمنهما من توغل باتجاه المشرق، ومنهما من قصد بلاد المغرب.

---

[1] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ط6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961م، ص ص 387-388.

[2] محمود إسماعيل، الخوارج، المرجع السابق، ص ص 35-36، ينظر أيضا: الجيلالي، تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص 202.

والواقع أن الإباضية والخوارج لما وصلوا إلى المغرب، استطاعوا أن ينشروا أفكارهم، ويتوغلوا بين القبائل البربرية، ويناوئوا عمال بني أمية بسكان المغرب أنفسهم، مما طبع حركاتهم بالطابع المحلي، وبالتالي اقتضت الضرورة تكثيف الجند العربي القادم من المشرق، بإفريقية خاصة، لمواجهة البربر الإباضية أو الخوارج منهم.

فيما يخص المغرب الإسلامي الذي التجأ إليه الإباضية والخوارج لمواصلة نشاطهم السياسي، فقد وجدوه مهيأ لتقبل أفكارهم، إذ أن بعض ولاة بني أمية على المغرب كانوا يسوسونه بالشدة والظلم والجور.[1]

وما زال البربر صابرين على ذلك حتى جاءتهم الوفود الأولى من الإباضية والخوارج الهاربين من العراق،[2] فاعتنقوا مبادئهم التي كانت تدعو إلى الثورة والمساواة والعدل، وهي مبادئ تتسق مع صفات المغاربة وطباعهم وعقليتهم.[3]

والجدير بالذكر أن من بين فرق المحكّمة والخوارج العديدة، لم تنتقل إلى المغرب إلا فرقتان فقط، هما الإباضية[4] والصفرية[5]، وتروي المصادر الإباضية أن أول من داع لمذهبهما ببلاد المغرب هو سلمة بن

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد الأول والثاني، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2003، م2، ص ص 239-240، ينظر أيضا: محمود إسماعيل، الخوارج، المرجع السابق، ص ص 32-33. وانظر خاصة ما هم بفعله يزيد بن أبي مسلم، عامل بني أمية، سنة 102 هـ إذ أراد أن يسم في يمين الرجل اسمه، وفي يساره كلمة "حرسي" وكذلك أساء عمر بن عبيد الله المرادي، ابن الحبحاب على طنجة وما ولاها، "السيرة وتعدي في الصدقات والقسم وأراد أن يخمس البربر وزعم أنهم فيء للمسلمين وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله"، ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص ص 99،901.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 92، ينظر أيضا: ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص 220.

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر نفسه، ص 207، ينظر أيضا: محمود إسماعيل، الخوارج، المرجع السابق، ص 35.

[4] الإباضية نسبة إلى عبد الله بن إباض الذي كان معاصراً لعبد الملك بن مروان الخليفة الأموي (65هـ-86هـ)، انظر الفصل الأول عن نشأة الإباضية وبعض عقائدها.

[5] الصفرية هم أتباع عبد إله بن الصفار وإليه النسبة، وقيل سموا بذلك لصفرة وجوههم من كثرة العبادة وهو ضعيف، ينظر: المبرد أبو العباس، الكامل، باب الخوارج، دار الحكمة، دمشق، 1972، ص 105.

سعيد جاء من البصرة مع عكرمة مولى عبد الله بن عباس، وكان عكرمة يدعو إلى الصفرية، وسلمة يدعو إلى الإباضية، ولشدة حرص هذا الأخير على نشر الإباضية، كان يتمنى أن لو ظهرت ولو يوماً واحداً من أول النهار إلى آخره، ولا يأسف إن ضُربت عنقه بعد ذلك[1]، ويرى الدكتور محمود إسماعيل أن أول بدايات ظهور الخوارج بالمغرب، كان في أواخر القرن الأول، وأوائل الثاني الهجريين[2]، إذ أن عكرمة توفي حوالي سنة 105ه كما تشير إلى ذلك بعض المصادر[3].

إن الرواية الإباضية المذكورة إذن، تجعل بدايات ظهور مذهبها في المغرب، مع نهاية القرن الأول وبداية الثاني، وهذا لا يعني أن الإباضية لم يكونوا بالمغرب قبل ذلك التاريخ، فمن المحتمل أنهم وفدوا عليه واستوطنوه كلما لحقت بهم هزيمة في المشرق العربي، وضاقت عليهم الأرض.

إن الإباضية والصفرية، بعدما جاء داعيتاهما إلى المغرب، استطاعا أن يحققا نجاحاً باهراً في نشر دعوتيهما، إذ اعتنق البربر المذهبين بكثرة وأخلصوا لهما، ووجدوا في مبادئهما ما يطابق ميولهم وعقليتهم، إضافة إلى أنهما جاءا في فترة حساسة جداً، إذ أن البربر قد ضاقوا ذرعاً بحكم الولاة الأمويين وجورهم، وربما استغلوا خصومات العرب المشهورة فيما بينهم من قيسية ويمنية[4].

وهكذا تكون الأسباب قد تكاثفت لقيام ثورات البربر أو ثورات الإباضية والخوارج في المغرب الإسلامي، ابتداء من سنة 122ه.

---

[1] أبو زكرياء، سير، المرجع السابق، ص ص 25-26، الدرجيني، طبقات، ج1، المصدر السابق، ص ص 11-12، الشماخي، سير، المصدر السابق، ص 123.

[2] محمود إسماعيل، الخوارج، المرجع السابق، ص ص 36-39.

[3] ابن سعد محمد، كتاب الطبقات الكبير، م5، تحقيق إدوارد سخو مطبعة بريل ليدن، 1905م، ص ص 215-216، ينظر أيضا: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، م7، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، الدكن، 1325هـ، ص ص 271-273.

[4] حسين مؤنس، فجر الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-756م)، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة، 1959م، ص 144.

وتستمر دون توقف إلى أن يؤسس الصفريون دولتهم المدرارية بسجلماسة في المغرب الأقصى، ويؤسس الإباضية دولتهم الرستمية في المغربين الأوسط والأدنى.

وهكذا فإن أوضاع المغرب الإسلامي قبل سنة 160ه تتميز بتلك الثورات[1] التي قامت على طول البلاد وعرضها، ومن هنا فقد عرف المغرب عدة ثورات، كان من أهمها الثورة الأولى سنة 122ه، وكانت ثورة بربرية صفرية قادها ميسرة المطغري، وثورة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني الإباضية سنة 140ه.

وسنقتصر على ذكر هاتين الثورتين فقط، إذ أن الأولى كانت الممهّدة لإنشاء الدولة الصفرية، بينما الثانية مهدت لإنشاء الدولة الإباضية بالمغرب الإسلامي.

أولا: ثورة ميسرة المطغري الصفري سنة 122ه.

قامت ثورة الخوارج الأولى بالمغرب[2]، في المغرب الأقصى، وبقيت مستمرة حتى استفحل أمرها وعمت ربوع المغرب كله تقريبا، فسميت بذلك ثورة البربر[3]، وإنما الذي دعا إليها هو ميسرة المطغري الصفري، قاد جموعاً من بربر مطغرة قبيلته والقبائل المجاورة لها،[4] وقصد طنجة والسوس، حيث عاملاً عبيد الله بن الحبحاب آنذاك فقتلهما، ويبدو أن البربر الصفرية في المغرب الأقصى، بعد هذا الانتصار تقاطروا عليه، مما دعاهم إلى مبايعته بالخلافة، ولما وصلت أخبار هذه الثورة عند الوالي بالقيروان ابن

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص ص 52-59.

[2] ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والأندلس، تحقيق أنيس الطباع دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م، ص 64.

[3] ابن عذاري، البيان، ج1، المصدر السابق، ص 52.

[4] محمود إسماعيل، الخوارج، المرجع السابق، ص 49.

الحبحاب، حتى أنفذ إليها جيشين: أحدهما بقيادة حبيب بن أبي عبيدة[1] وثانيهما يقوده خالد بن أبي حبيب الفهري، فالتقى هذا الأخير بميسرة في مقربة من طنجة، ووقع بين جيشيهما قتال شديد، انهزم على إثره ميسرة وولى راجعا إلى طنجة، هنالك بايع الخوارج خالد بن حميد الزناتي مكان ميسرة الذي قتلوه بسبب تخاذله، فالتقى الجيشان مرة ثانية وكانت وقعة عظيمة مات فيها " حماة العرب وفرسانها وأبطالها فسميت الغزوة غزوة الأشراف"[2].

ثم توالت الثورات من صفرية وإباضية حتى عام 138ه لما هاجمت قبيلة ورفجومة الصفرية القيروان بقيادة عاصم بن جميل، فأخرجوا منها وإليها حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب، الذي التجأ إلى جبل الأوراس فلحقه عاصم إلى هناك، واقتتلا فانتصر حبيب، وقتل عاصم، وفي غمرة هذا الانتصار قاد حبيب جيوشه وسيرها نحو القيروان لاستردادها من خليفة عاصم عبد الملك بن أبي الجعد.

ودارت المعركة بين الجانبين فقُتل حبيب سنة 140ه، عندئذ خلا الجو للصفرية في القيروان، فعاثوا فيها فساداً، ولا تختلف المصادر الإباضية وغيرها[3] في تصوير مناكرهم، بل إن الكتابات الإباضية تعزو قيام ثورة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني إلى تلك الأعمال الشنيعة التي قامت بها ورفجومة الصفرية.

---

[1] يخبرنا ابن عذاري أن عبيد الله بن الحبحاب كتب إلى حبيب بن أبي عبدة يأمره بالرجوع من صقلية، إذ كان في غزوة لها، وذلك ليتقوى به في مواجهة الخوارج. ومن هنا نلمس مدى خطورة هذه الثورة، كما يظهر لنا جليا أنها كانت سببا مباشراً في عرقلة فتح صقلية فلم تُفتح إلا تسعين سنة بعد ذلك أي سنة 212هـ، ينظر: البيان، ج1، المصدر السابق، ص ص 52-53. ومن بين النتائج العديدة لهذه الثورة، انتقال عدواها إلى الأندلس، إذ أن البربر هناك ثاروا على عاملهم فعزلوه وهكذا تعم الثورات جميع بلاد المغرب الإسلامي في العدوتين. ينظر: ابن عذاري، البيان، ج1،المصدر نفسه، ص 54.

[2] الرقيق، تاريخ افريقية والمغرب، المصدر السابق، ص ص 110-111.

[3] أبو زكرياء، سير، المرجع السابق، ص ص 38-39، ابن عذاري، البيان، ج1، المصدر السابق، ص ص 69-70.

ثانيا: ثورة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح الإباضي سنة 140ه.

كان أبو الخطاب[1] قد بويع بالإمامة سنة 140ه، وفي نفس السنة توجه بأصحابه من الإباضية إلى مدينة طرابلس، فدخلها وطرد منها عاملها الذي رجع إلى المشرق، حسبما ترويه المصادر الإباضية، ثم إن وجوده بطرابلس سهل له الاستيلاء على جزيرة جربة وجلا دمر، وكان هذا كله في عام واحد.[2]

ولما قامت القبائل البربرية الصفرية، وعلى رأسها ورفجومة بأعمالها الشنيعة في القيروان، رأى الإباضية ضرورة الوقوف أمام المعتدي على حرمات الله[3]، وكسر شوكته، فتوجهوا بقيادة إمامهم نحو القيروان، وفي طريقهم استطاعوا أن يستولوا على قابس، وبعد أن ترك أبو الخطاب عبد الملك بن أبي الجعد استطاع أن يدخل المدينة سنة 141ه[4] ويستخلصها من يد ورفجومة وينقذ أهلها من مناكرهم.

---

[1] أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني، أحد حملة العلم (الإباضية) إلى المغرب من البصرة، التقى بعبد الرحمن بن رستم وعاصم السدراتي وأبي داود القبلي النفزاوي وإسماعيل بن درار الغدامسي بالبصرة وكلهم من حملة العلم، حيث أخذوه عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة مدة خمس سنوات (135هـ-140هـ) ومنها رجعوا إلى المغرب لنشر الإباضية، وكان شيخهم أبو عبيدة قد اقترح عليهم إن أنسوا من أنفسهم قوة وأرادوا إعلان إمامة إباضية، أن يعقدوها لأبي الخطاب، وكان كما أراد، ينظر: أبو زكرياء، سير، مرجع سابق، ص 37، الدرجيني، طبقات، ج1، مرجع سابق، ص ص 19-23، ينظر أيضا: علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة 2، القسم 1، ص ص 49-54.

[2] الجربي محمد أبو راس، مؤنس الأحبة في أخبار جربة، تونس 1958م، ص ص 44-45.

[3] يذكر أبو زكرياء رواية عن السبب المباشر الذي دفع أبا الخطاب للتوجه إلى القيروان، فيقول إن امرأة قيروانية كتبت بطاقة إلى أبي الخطاب تشكو إليه فيها جور ورفجومة خوفها على شرف ابنتها التي أخفتها في حفرة تحت سريرها، ولما وصلت البطاقة إلى أبي الخطاب بكى رحمة عليها ونادى الصلاة جامعة، ثم صعد المنبر ورغب أصحابه في الجهاد وأمر رعيته بالاستعداد للحرب، ينظر: أبو زكرياء، سير، مرجع سابق، ص ص 38-39.

[4] محمود إسماعيل، الخوارج، مرجع سابق، ص ص 64-65، الدرجيني، طبقات، ج1، مصدر سابق، ص 29.

ويبدو أن أبا الخطاب لم يُقِم طويلاً بالقيروان، حيث خرج لمواجهة جيش محمد بن الأشعث الخزاعي، الذي بعثه الخليفة المنصور إلى افريقية سنة 142ه لاستردادها، فترك عبد الرحمن بن رستم واليا عليها[1]، وتوجه مسرعاً نحو طرابلس فالتقى بعمرو بن الأحوص العجلي المبعوث من قِبل ابن الأشعث[2]، ويبدو أن أبا الخطاب وجيشه لم يجدوا كبير عناء في الانتصار على هذا الجيش، ورد قائده مهزوماً، ولما وصلت أخبار هذه الهزيمة المنصور، كتب إلى ابن الأشعث يأمره بالمسير بنفسه إلى المغرب، فلبى الأمر وتوجه بجيش قوامه أربعون ألفاً، فوجد أبا الخطاب مستعداً، قد جمع أصحابه في كل ناحية.

وتروي المصادر الإباضية التقاء الجيشين، وانهزام أبي الخطاب في هذه المعركة، التي تُعرف بمعركة "تاورغا"[3]، وتعزوها إلى الحيلة التي اتبعها ابن الأشعث في تشتيت الجيش الإباضي البالغ تعداده حوالي اثني عشر أو أربعة عشر ألف رجل[4] من الإباضية، إذ التجأ قائد جيوش المنصور لما رأى كثرة جنود أبي الخطاب إلى الانسحاب والعودة إلى المشرق خدعة، فلما رأى رجال أبي الخطاب ذلك، وكان منهم الفلاحون الذين تركوا حقولهم إذ الموسم موسم حصاد، تخلوا عن أبي الخطاب، ورجعوا إلى مزارعهم وحقولهم، رغم تنبيه قائدهم لهم بأن انسحاب ابن الأشعث غنما هو محض خدعة إلا أنهم تمادوا في الانسحاب، فتصدع جيش الإباضية، ونقص عدده وتشتت مما سهل مهمة ابن الأشعث في القضاء على من بقي مع أبي الخطاب فقتلهم جميعاً سنة 144ه[5].

---

[1] أبو زكرياء، سير، مرجع سابق، ص 41، الدرجيني، طبقات، ج1، المصدر السابق، ص 29.

[2] يبدو أن محمد بن الأشعث كان يرمي من وراء إرسال ابن الأحوص إلى جس النبض، وتلمس مواطن القوى والضعف في افريقية، أو كان خائفا من كثرة الإباضية يقول ابن عذاري: "فضاق ذرع ابن الأشعث بلقاء أبي الخطاب لما بلغه كثرة جيوشه"، البيان، ج1، المصدر السابق، ص 72.

[3] تاورغا أو تاورغة، المنطقة التي وقعت فيها المعركة المذكورة، وتبعد مسيرة أربعة أيام من مدينة طرابلس شرقاً.

[4] تذكر المصادر الإباضية أن جيش ابن الأشعث سبعين أو خمسين ألف رجل، بينما يجعله ابن عذاري أربعين ألفاً، ينظر: لواب بن سلام، شرائع الدين (مخطوط)، ص 42-45، الشماخي، سير، المصدر السابق، ص ص 130-132.

[5] أبو زكرياء، سير، مرجع سابق، ص ص 44-46، ينظر أيضا: الدرجيني، طبقات، ج1، مصدر سابق، ص ص 32-34، الشماخي، سيرة، مصدر سابق، ص ص 131-132.

أما ابن عذاري[1]، فيعزو انهزام سبعين ألفاً أمام أربعين ألفاً، حسب روايته، إلى انقسام جيش أبي الخطاب، وتنازع القبائل البربرية المشكلة له بأن اتهمت زناتة أبا الخطاب بالميل إلى هوارة على حسابها، فانسحبت واستغل ابن الأشعث هذا التصدع، وسُرّ به، فتوجه مطمئناً نحو أبي الخطاب ومن بقي معه فاقتتلا قتالاً شديداً، وانهزم الجيش الإباضي، وقُتل قائده سنة 144ه، فتقدم ابن الأشعث ظاناً ألا بقية للإباضية بعد تلك المعركة، ففاجأه أبو هريرة الزناتي بستة عشر ألفاً من رجاله، استطاع ابن الأشعث على ما يبدو أن يقضي عليه ويهزمه بسهولة.

ولما وقعت هذه الهزيمة الشنعاء بالإباضية، تشتتوا في البلاد، والتجأوا إلى الجبال يتحصنون بها، لأن ابن الأشعث لم يكتف بمعركة تاورغا وما آلت إليه الإباضية من ضعف، وإنما تمادى في ملاحقتهم وقتل خلق كثير منهم.[2]

ولما علم عبد الرحمن بن رستم بانهزام إخوانه ووفاة صاحبه أبي الخطاب وهو في طريقه من القيروان إلى تاورغا[3] لمساعدته وتقديم العون له، ولى راجعاً، وتفرق عنه أصحابه بقابس، ودخل القيروان خائفاً يترقب، فوجدها قد تغيرت عليه، بايع أهلها عمر بن عثمان القرشي على أنفسهم، فلم يجد إلا اتجاهاً

---

[1] ابن عذاري، البيان، ج1، المصدر السابق، ص 72، والجدير بالذكر أن الدكتور محمود إسماعيل يرجح رواية ابن عذاري على الرواية الإباضية ويرى أن هذه الأخيرة أرادات بروايتها إخفاء الانشقاق داخل المعسكر الإباضي بسبب انسحاب إباضية زناتة، ومما يرجح هذه الرواية خروج الزناتيين فجأة بقيادة زعيمهم أبي هريرة الزناتي على ابن الأشعث بعد انهزام أبي الخطاب، وربما ذلك لشعورهم بأنهم السبب في ذلك الانهزام، وقارن بما قاله ابن سلام، وهو أقدم ما وصلنا من المصادر الإباضية، إذ يذكر تخوف رجال أبي الخطاب من مباغتة ابن الأشعث للإباضية، وفي الرواية التي يسوقها لنا ما يوحي بأن ابن الأشعث لم يخادع الإباضية ثم لا يذكر أي شيء عن تصدع جيش أبي الخطاب سواء، بسبب مغادرة الفلاحين الميدان لأن الموسم موسم حصاد، أو بسبب تنازع القبائل البربرية واتهام قبيلة زناتة أبي الخطاب بالميل إلى هوارة، وإنما الذي يذكره في هذا الصدد أن القبائل المشاركة في المعركة هي زهانة، هوارة، نفوسة، لواتة، مزاتة، و"وأن الله يعطي الغلبة لمن يشاء"، ينظر: عوض خليفات، نشأة، مرجع سابق، ص 154.

[2] ابن عذاري، البيان، ج1، المصدر السابق، ص 73، الشماخي، سير، المصدر السابق، ص ص 132-133.

[3] يذكر ابن خلدون أن خبر هزيمة أبي الخطاب وصل عبد الرحمن بن رستم وهو بالقيروان وكأنه لم يخرج منها إطلاقاً، ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، مصدر سابق، ص 247.

واحداً أمامه يسلكه لينجو بنفسه، ذلك هو الاتجاه نحو المغرب الأوسط[1]، أولى خطوات تأسيس الدولة الرستمية.

بعد هزيمة أبي الخطاب وهروب عبد الرحمن، تداعت القبائل البربرية الإباضية إلى الهدوء والكتمان، بعد الثورة والظهور، وبقيت على ذلك ردحاً من الزمن حتى أنِست من نفسها قوة خاصة في حيز طرابلس، حيث قبيلة نفوسة، المادة العسكرية الأساسية للإباضية في المغرب الإسلامي فاجتمعوا على مبايعة إمام للدفاع[2] عنهم، فوقع اختيارهم على أبي حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي، مولى كندة فبايعوه سنة 145ه[3]، واستطاع أن ينتصر على جيوش الولاة في عدة معارك، ويدخل طرابلس، كما أنه تمكن من حصار القيروان زمناً ليس بالقصير، حتى ضاق أهل المدينة بحصاره ذرعاً، والتجأ أفراد منهم إليه، فلم تستطع المدينة الصمود أمام قواته، فقُتل عمر بن حفص عامل العباسيين على المغرب في إحدى المعارك، ودخل أبو حاتم وجنده القيروان، ثم ترك عليها عاملاً من قبله وغادرها متوجهاً نحو طرابلس لمواجهة يزيد بن حاتم القادم من مصر، أرسله أبو جعفر المنصور لما بلغته أحداث المغرب وثوارته، ومقتل عامله عمر بن حفص، وبعد انتصارات لأبي حاتم وجنده عديدة، استطاع يزيد بن حاتم أن يهزم الإباضية، ويقتل إمامها سنة 155ه، بل لم يكتف بذلك، وإنما راح يلاحقهم ويقتلهم في كل سهل وجبل.[4]

---

[1] أبو زكرياء، سير، مصدر سابق، ص 46، ينظر أيضا: ابن عذاري، البيان، ج1، مصدر سابق، ص 72، الدرجيني، طبقات، ج1، مصدر سابق، ص 35.

[2] من هنا يُفهم أن الولاة الذين تعاقبوا على حكم افريقية والمغرب منذ محمد بن الأشعث الخزاعي الذي هزم الإباضية سنة 144هـ، كانوا يمارسون العنف على الإباضية والخوارج ويلاحقونهم رغم كونهم في الكتمان، لذلك كان رد الفعل لدى الإباضية حاسماً إذ اختاروا إمامة الدفاع دون غيرها من أنواع الإمامة المعمول بها عند الإباضية، وذلك للدفاع عن أنفسهم.

[3] تذكر المصادر الإباضية أن تولية أبي حاتم كانت سنة 154هـ، وهو خطأ والصحيح هو 145هـ إذ كانت بعد انهزام أبي الخطاب وملاحقة ابن الأشعث للإباضية وتقتيلهم، وهو ما دفع جماعة الإباضية لرد العنف بالعنف أو لنقل لرد العنف بالثورة. ينظر: أبو زكرياء، سير، مرجع سابق، ص 49.

[4] الرقيق، تاريخ افريقية، مصدر سابق، ص ص 143-159،148-160، ينظر أيضا: ابن عذاري، البيان، ج1، مصدر سابق، ص 79.

وهكذا يعود الإباضية مرة أخرى إلى الكتمان، والعمل في الخفاء، ولاشك أن انهزامهم مرة ثانية، وتشتتهم في البلاد، ادى بالكثير منهم إلى التفكير في التوجه نحو المغرب الأوسط، حيث عبد الرحمن بن رستم أبرز شخصية إباضية بعد مقتل أبي الخطاب وأبي حاتم، وهكذا تتجه الأنظار إليه فيستقطب الأحداث. ولا يخامرنا الشك في أن العديد من أولئك توجهوا فعلاً نحو عبد الرحمن، الأمر الذي شجعهم لما كثر عددهم في منطقة معينة محدودة على بناء مدينة تأويهم وتحميهم، وتكون حصناً لهم وللإمامة التي بدأوا يفكرون في إعلانها.

أسس الإباضية مبادئهم السياسية على مجموعة من القواعد الكلية المستوحاة من نصوص الكتاب العزيز والسنة المجتمع عليها مع اعتبار جانب العرف والواقع المتغير حسب الزمان والمكان، وهذه القواعد هي:

- **القاعدة الأولى: الحاكم يجب أن يكون من المؤمنين.**[1]

يقول تعالى: { يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ }.[2]

ويقول تعالى: { وَإِذَا جَاءَهُم أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَو الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرِّسُولِ وَإِلَى أوْلي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ }.[3]

وهذه القاعدة تشير إلى وجوب كون الحاكم من جماعة المؤمنين، وهي كما يُلحظ لا تشترط أن يكون الحاكم أكثر الناس زهداً وورعاً، وإنما تؤكد على وجوب أن يصدق عليه صفة الإيمان، وهو عدم التلبس بما يخل بعدالة المؤمن من معاصي ومفاسد، يقول أبو المؤثر (ت 287ه): "الذي

[1] أبو المؤثر، السير والجوابات، نشر: وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان، تحقيق: سيدة إسماعيل، ج2، عمان، 1410ه/1989م، ص 315.

[2] سورة النساء، الآية: 59.

[3] سورة النساء، الآية: 83.

يستحق الإمامة إذا كان ورعاً بصيراً بما يأتي ويتقي، وكان يبصر الولاية والبراءة، وكان قوياً على إقامة الحق"[1].

– القاعدة الثانية: أهمية العلم والقدرة البدنية في الحاكم.

يقول تعالى: { وَقَال لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاَ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ المَالِ قَالَ إنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ والجِسْمِ }[2].

وقد مرّ العالم الإسلامي بفترات عصيبة حين تولى أمرها الجهلة والضعفاء بدنياً، يقول أبو المؤثر: " وإن عجز عن أخذ الحقوق وإقامة الحدود ونكاية العدو، وصار عجزه دعاية لتبطيل الحدود وبطلان الأحكام وظهور العدل، ووضح ذلك للمسلمين، فقد صار معطلاً لحدود الله، يعزل ويقام غيره ممن يقوم بذلك ويبلغ فيه الحق"[3].

– القاعدة الثالثة: مساواة البشر في حظوظ وصولهم إلى درجة الحكم.[4]

يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْناكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمَ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[5].

تؤكد هذه القاعدة على مبدأ المساواة البشرية، فهي بالتالي تلغي أسس التفاضل الجاهلية التي كانت سائدة في المجتمعات البشرية المختلفة كالقبلية والعرقية والمادية، فالمسلمون جميعًا سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى أي بمقدار تحليه بأخلاق وآداب الإسلام، ومن هذا

---

[1] أبو المؤثر، السير والجوابات، ج2، المصدر السابق، ص 316.

[2] سورة البقرة، الآية: 247.

[3] أبو المؤثر، السير والجوابات، ج2، المصدر السابق، ص 299.

[4] أبو المؤثر، السير والجوابات، ج2، المصدر نفسه، ص 300.

[5] سورة الحجرات، الآية: 13.

المنظور السامي فإن القرشية والعلوية والأموية والعرقية لا أصل لها في الإسلام، بل إن القرآن ينسب هذه النوعية من المفاضلة حسب الأعراق إلى الشيطان الرجيم، حيث أورد على لسانه إقراره السافر عن سبب عصيانه لأمر الله وهو اعتبار أصله أفضل من أصل آدم، حيث قال: { قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ }[1]، وقد قال تعالى قاطعاً السبيل أمام شبهة التفاضل العرقي { مَا كَانَ مُحَمَدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا }[2]، فالقرابة من الرسول صلى الله عليه وسلم لا تغني في ميزان الله شيئا بل أنها تحقق فوضى الوسائط، ولو كانت تغني من الحق شيئا لأغنت ابن نوح وزوجته، وزوجة لوط، ولأغنت أبا لهب من الحريق واللهب، وحين نزل قوله تعالى: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ }[3]، جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفخذ أفخاذ قريش فخذًا فخذًا حتى أتى إلى بني عبد المطلب فقال: "يا بني المطلب إن الله أمرني أن أنذركم، فإني لا أغني عنكم من الله شيئا، ألا إن أوليائي منكم المتقون، ألا لأعرفن ما جاء الناس غدا بالدين فجئتم بالدنيا تحملونها على رقابكم يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشتريا أنفسكما من الله، فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً"[4].

– القاعدة الرابعة: الشورى هي أساس اختيار الحاكم وتدبير أمور الحكم.

يقول أبو المؤثر: "ومن دين المسلمين إقامة الأئمة عن تراض ومشورة"[5]، واستدلوا لذلك بنصوص

[1] سورة الأعراف، الآية: 12.

[2] سورة الأحزاب، الآية: 40.

[3] سورة الشعراء، الآية 214.

[4] الربيع بن حبيب برقم 1005.

[5] أبو المؤثر، السير والجوابات، ج2، المصدر السابق، ص 298.

محكمة من الكتاب العزيز منها: قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2].

وهي قاعدة كلية غير مقيدة بصور الممارسات البشرية السابقة،[3] بل هي موكلة لطبيعة المجتمع الإسلامي الثقافية والاجتماعية المتغيرة زمانياً ومكانياً، فقد تكون محصورة في فئة معينة ذات مواصفات قياسية خاصة كالعلم والتقوى والحكمة كما هو الحال مع تعيين عمر بن الخطاب لستة شخصيات مرموقة في الدولة الإسلامية تختار من بينها فرداً يقود الأمة، أو قد تتم من خلال مجالس بلدية أو برلمانات تمثل عقلاء الأمة ومثقفيها، أو قد يكون مفتوحاً كما هو الحال مع الانتخابات العامة للمفاضلة بين الأفراد الذين تتحقق فيهم مواصفات الترشح لمنصب الحاكم، وهذا كله يفهم من خلال أمره تعالى باعتبار عرف المجتمع إذا لم يتصادم مع قواعد الشريعة، حيث يقول عز وجل: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[4].

---

[1] سورة الشورى، الآية: 38.

[2] سورة آل عمران، الآية: 159.

[3] أبو المؤثر، السير والجوابات، ج2، المصدر السابق، ص 317.

[4] سورة الأعراف، الآية: 199.

– القاعدة الخامسة: العدل أساس الحكم.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ﴾[4].

– القاعدة السادسة: تحريم الظلم.[5]

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْۙ ﴾[6].

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[7].

---

[1] سورة النساء، الآية: 58.

[2] سورة المائدة، الآية: 8.

[3] سورة النحل، الآية: 90.

[4] سورة الشورى، الآية: 15.

[5] أبو المؤثر، السير والجوابات، ج2، المصدر السابق، ص 317.

[6] سورة يونس، الآية: 13.

[7] سورة الشورى، الآية: 42.

- القاعدة السابعة: وجوب تحكيم شرع الله.[1]

يقول تعالى: ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾[3].

وقد ترجم الإباضية هذه المبادئ في حياتهم واعتبروها جزءاً من هويتهم، الأمر الذي حدا بمفكري العالم الإسلامي من خارج الدائرة الإباضية إلى الوقوف إجلالاً واحتراماً لهذا الإنجاز المبهر والفريد في تاريخ البشرية، ففاضت في ثنايا كلامهم الأماني بامتثال هذه المعاني القرآنية العظيمة التي انفرد الإباضية بتطبيقها والتنعم بلذتها.

يقول الدكتور حسن الترابي: "بعد هذه المعالجة الاصطلاحية لكلمة الديمقراطية ومغزى استعمالها في اللغة العربية، وفي سياق الكلام عن نظام الحكم الإسلامي يمكن أن نتناول الكلمة الإسلامية المقابلة وهي "الشورى"، ولعل الأدب الإسلامي السياسي الحديث هو الذي روج الكلمة وأضفى عليها قيمتها ومضامينها ذات الشأن بعد أن كانت كتب الفقه القديمة لا تعنى بها كثيرا ولا تقيم لها هذه القيمة الجليلة، لأن الممارسة السياسية الشورية لم تكن واسعة ولا ذات خطر في التاريخ الإسلامي"[4].

وهذا التأكيد المفعم بكثير من الأسى والحسرة على غياب الممارسة الشورية في تاريخ الأمة يتبعه الدكتور الترابي بالقول: "وكاد التاريخ الإسلامي يخلو من الإجراءات الشورية المطلقة في تعيين الولاة،

---

[1] أبو المؤثر، السير والجوابات، ج2، المصدر السابق، ص 318.

[2] سورة المائدة، الآية: 48.

[3] سورة المائدة، الآية: 49.

[4] حسن الترابي، الإسلاميون والمسألة السياسية، ص 20.

وما كان من الشورى لم يكن عن حرية ورضى وضبط كما يقتضي الدين، لكن سنة الاختيار الشوري المرضي قد عرفت أحياناً، ولا سيما في مناطق الخوارج[1]، فقد ظل الإمام لدى الإباضية من باطن عمان يختار بنحو قريب من الطريقة الشورية التي يقتضيها الإسلام، فحين يموت إمام كانت جماهير من يمثلون الجماعة يأتمرون من أجل هذا الشأن، وتخرج منهم طائفة من العلماء والقادة، يمرون على أعيان المؤهلين للخلافة ويستطلعون مواقفهم ثم يزكون من يرونه أقربهم زكاة وقوة، ويعرضون أمره على الجماهير المؤتمرة فإذا أمضوه عقدت له البيعة بشرطها المأخوذة، أما السنة الأغلب في الممارسة السياسية الإسلامية، فالذي يغلب عليها هو ولاية العهد وميراث الخلافة أو استلاب الأمر بالانقلاب أو التمكن في ناحية إقليمية"[2].

ويقول الدكتور حسين عبيد غباش: "وفي السياق التاريخي الإسلامي نجد أن تطبيق مبدأي الإجماع والتعاقد قد عُلق واقعاً، في حين طبق العمانيون هذين المبدأين على مستوى الإمامة وعلى مستوى الدولة والمجتمع، بل وفي كل المور، وذلك منذ القرن الثاني الهجري/القرن الثامن الميلادي، بعبارة أخرى، امتدت هذه التجربة العمانية مع بعض الانقطاع، اثني عشر قرناً، وإذا سلمنا بأن التطبيق الكامل لمبدأي الشورى والانتخاب الحرّ لزعيم الأمة – أي الإجماع والتعاقد – هما جوهر الديمقراطية، فإن الإمامة الإباضية العمانية يمكن أن تعد أطول تجربة ديمقراطية في تاريخ الإنسانية"[3].

---

[1] نسبة الإباضية إلى الخوارج هي اجترار لأخطاء المؤرخين وكتاب المقالات، ومنهج الإباضية يختلف كلياً عن منهج فرق الخوارج التكفيري.

[2] حسن الترابي، الإسلاميون والمسألة السياسية، المرجع السابق، ص ص 35-36.

[3] حسين عبيد غباش، عمان الديمقراطية الإسلامية، المرجع السابق، ص ص 19-20.

الفصل الثالث:

الدور الثقافي للجماعة الإباضية ببلاد المغرب قبل قيام الدولة الرستمية.

المبحث الأول: دور الإباضية في نشر الإسلام بالمغرب.

كان الفضل الأكبر لانتشار الإسلام بتأثير الدعاة الإباضية، فقد كان لهم أكبر الأثر في انتشار الإسلام في ربوع القارة الافريقية، وفي تشرب البربر لتعاليم الإسلام وأخذهم لها مأخذ الجد، وقد أدى هذا إلى أن أصبح البربر يقرأون القرآن الكريم لا بلسانهم فقط بل ليتعبدوا ويتفكروا فيما جاء به، لهذا نادوا كما أمرهم الشريعة الإسلامية، بأنه لا فضل لعربي على آخر، ولا فضل له على الأعجمي إلا بالتقوى.[1]

وقد تكاتفت جهود الإباضية لنشر الإسلام بين المغاربة، ففي الوقت الذي كان فيه سلمة بن سعد يعمل على تكوين بعثة علمية كان محمد بن عبد الحميد بن مفطير الجناني من جبل نفوسة قد رحل إلى البصرة يأخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم وعلماء البصرة وعاد ابن مفطير إلى وطنه حيث ظل يعمل التدريس والفتوى حتى رجعت بعثة العلم إلى المغرب فأمسك عن الفتوى متنازلاً عنها لحملة العلم.[2]

مكث حملة العلم الخمسة في صحبة أبي عبيدة خمس سنوات، وعند عودتهم إلى بلادهم أشار عليهم أن يتولى إمامتهم أبو الخطاب عبد الأعلى، كما أنه كان قد أعلن إسماعيل بن درار الغدامسي لتولي القضاء، فعلمه أصول الفقه والإفتاء وأوصاهم بمداومة الاتصال به، واستفتائه فيما يعلن لهم من مسائل وإخباره بنشاطهم أولاً بأول[3]، حيث اعتبر الإباضية بلاد المغرب أرض جهاد لقيام الإمامة الإسلامية ونشر الإسلام.[4]

---

[1] يحيى هويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الافريقية، مكتبة النهضة المصرية، 1966م، ص 28-29.

[2] الباروني، الأزهار الرياضية، ج2، تحقيق: محمد علي الصليبي، سلطنة عمان، 1987م، ص 153، أنظر أيضا: علي يحيى معمر، الإباضية في ليبيا، ط1، مكتبة وهبة، مصر، 1964م، ص 28.

[3] أبو زكريا، السيرة، مرجع سابق، ص 60، د. أنظر أيضا: سعد زغلول، تاريخ المغرب، ص 309.

[4] سيدة إسماعيل كاشف، اباضية عُمان ، سلطنة عمان، 1979م، ص 279.

بدا ذلك واضحا في جنوب المغرب، فاليعقوبي في كلامه عن زويلة[1] يقول عن أهلها: (وهم قوم مسلمون إباضية كلهم يحجون البيت الحرام وأكثرهم من زناتة)[2]، ويقول مؤلف الاستبصار: (وكلمة التوحيد والهداية في بلاد الصحراء متصلة من طرابلس إلى مدينة غانة)[3].

ويقول أبو الفداء عن غدامس[4] "وأهلها قوم من البربر مسلمون، ولهم مسجد جماعة وليس لهم رئيس ومرجعهم إلى مشايخهم"[5].

كما أنشأ الإباضيون جماعات عربية إسلامية من التجار والزراع والصناع لنشر الإسلام[6]، وقد أغفلت المراجع الحديثة الأجنبية والعربية دور الدعاة الذين شقوا طريقهم بين البربر منذ القرن الأول الهجري، فاندسوا بين القبائل والأفراد في الجبال وفي السهول والمراعي والديان ينشرون بين أهلها عقيدة الإسلام وفرائضه بالحجة والإقناع وبالمثل الصالح تحقيقاً لمبدأ أن يكون الإسلام دنيا وديناً.

وكان إغفال دور الدعاة أو التقليل من شأنه في تلك المرحلة أيضاً من تاريخ بلاد المغرب الإسلامي سبباً جعل المؤرخين العرب المعاصرين والأجانب لا يتوفرون على دراسة تاريخ الدولة المغربية المستقلة

---

[1] بفتح أوله وكسر ثانيه، وبعد الياء المثناة من تحت الساكنة لام، وهي مدينة غير مسورة في وسط الصحراء وتقع مقابل أجدابية في البر بين بلاد السودان وافريقية وزويلة إحدى أمصار برقة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص 159.

[2] شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ) ، معجم **البلدان**، الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، 1995م ، ص 60.

[3] كاتب مجهول، الاستبصار، تحقيق د. سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الاسكندرية، 1958م، ص 112.

[4] بفتح الغين والدال المعجمتين، وألف وميم مكسورة وسين مهملة، انظر أبا الفداء، تقويم البلدان، تصحيح وطبع رينود–ديسلان، باريس، 1815م، ص 147، ويقول البكري عنها: "بين غدامس وجبل نفوسة سبعة أيام في الصحراء"، ينظر: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: 487هـ)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ص 115.

[5] أبو الفدا، تقويم البلدان، ص 147.

[6] ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق: د.حسين مؤنس، ط1، القاهرة، 1963م، ص 77.

التي قامت بفضل الدعاة، وما كان لها من فضل في نشر الإسلام والعروبة، وفي المشاركة الجادة في الحضارة الإسلامية.[1]

وعلى هذا اعتبر المؤرخون العرب المعاصرون، وكذلك المؤرخون الأجانب نهاية المرحلة الأولى لنشر الإسلام في بلاد المغرب تنتهي بنهاية خلافة عمر بن عبد العزيز أو في أواخر خلافة هشام بن عبد الملك أثناء ثورة ميسرة في سنة (122ه).

أما المرحلة الثانية من مراحل نشر الإسلام في بلاد المغرب في نظر هذا الفريق من المؤرخين، فتبدأ في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حين أغار بنو هلال وبنو سليم على بلاد المغرب من مصر، فتم إسلام البربر، وبعد ظهور المرابطين في بلاد المغرب في القرن الخامس الهجري، ثم ظهور الموحدين في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي).[2]

والحق أن إسلام أهل المغرب تم بالدرجة الأولى عن طريق الدعوة والحجة والإقناع بفضل الفقهاء والدعاة ولم يفرض بالقوة أو السيف، ولم يستعبد الإسلام هذه الشعوب وإنما أشعرها بالعزة والكرامة وقوى النزعة إلى الحرية والاستقلال.

وقامت الدعوة الإسلامية على أساس مبدأ الحرية والإخاء والعدالة والمساواة بغض النظر عن العرق أو اللون، كذلك قام الإسلام في بلاد المغرب على أساس حب الجار والتسامح مع أهل الذمة وإنشاء المساجد وفتح الكتاتيب والمدارس.[3]

فقد قام العلماء الإباضية بفتح المدارس لتعليم القرآن، ومثال ذلك ما قام به العالم الإباضي عمر بن يمكتن – من علماء النصف الأول من القرن الثاني الهجري – فقد أنشأ أول مدرسة لتعليم القرآن، وكان

---

[1] سيدة كاشف، إباضية عمان، مرجع سابق، ص 252.

[2] حسن إبراهيم، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، ص 40.

[3] سيدة كاشف، إباضية عمان، مرجع سابق، ص ص 252-253.

الناس يقبلون عليها حتى أصبحت المدرسة مناراً للعلم، ليس في جبل نفوسة فقط بل في الجنوب الليبي كله.[1]

وقد أنشأ أبو عبيدة في البصرة ما يمكن تسميته بالثورة السرية، وكان هو زعيمها، له الكلمة العليا في الشؤون الدينية من فتوى وقضاء وتدريب الدعاة وحملة العلم الذين يرسلون إلى الأمصار.

كما لم يغفل أبو عبيدة ومشايخ الإباضية في البصرة عن اتباعهم في الأمصار الأخرى وخاصة أنهم يحتاجون بشكل دائم إلى المساعدات المالية، فأنشأ بيت مال خاصاً بجماعة المسلمين الإباضية في البصرة وأوكل إلى حاجب الطائي مهمة الإشراف على الشؤون المالية والعسكرية وشؤون الدعوة، وكانت موارد بيت المال تستخدم لمساعدة الدعاة في المناطق البعيدة.

وكانت موارد بيت المال في البصرة تأتي من مصدرين: الأول عبارة عن ضريبة فرضها الإمام على أتباعه في البصرة، والثاني كان يأتي من التبرعات السخية التي يدفعها أثرياء الإباضية، وكان التجار يتحملون النصيب الأكبر في هذا الشأن.[2]

وكان الإباضية يعتمدون في نشر مذهبهم وفي نشر الإسلام على الحجة والإقناع وليس على القوة أو العنف، وليس أدل على ذلك من الرسالة التي كتبها عبد الله بن إباض رداً على رسالة عبد الملك بن مروان إليه.[3]

---

[1] علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثانية، ص ص 39-40.

[2] السمائلي، الحقيقة والمجاز، المصدر السابق، ص ص 68-69.

[3] عن النص الكامل للرسالة انظر: السمائلي، إزالة الوعثاء، مصدر سابق، ص 70.

ويبين تاريخ الإباضية في بلاد المغرب بوضوح صلة المغرب العربي الإسلامي بالمشرق العربي الإسلامي، وكان الإباضية وعلماؤها يرعون هذه الصلة دائماً ويحرصون عليها، وأصبحت بلاد المغرب بفضل هذه الصلة القوية أصيلة في العروبة والإسلام.[1]

فقد تمسك الإباضية منذ البداية بالدعوة لنشر الإسلام، وإقامة العدل، ونرى – على سبيل المثال – في سيرة الشيخ الفقيه العماني أبي المؤثر الصلت بن خميس في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، والتي وردت في مخطوط (كتاب سير الأئمة القائمين بالحق في الأمة) وهو المعروف باسم (السير والجوابات عن العلماء والأئمة رحمهم الله تعالى) ما نصه (فإن استطاعوا أن يتعدوا مصرهم إلى غيرهم وجب ذلك عليهم كلما قدروا عليه فليدعوا الناس إلى الدخول في دين الله والتسليم للعدل).

واعتبر إباضية عمان أن أمرهم واحد في المشرق والمغرب، ففي سيرة الإمام محبوب بن الرحيل[2] إلى أهل عمان يقول: وكانت المحكمة واحد، لو حكم رجل من لمغرب تولاه من كان منهم بالمشرق ولو حكم بالمشرق تولاه من كان بالمغرب.[3]

ويتبين لنا من نجاح الإباضية في تأسيس دولهم في المشرق والمغرب أن دعاتهم كانوا مدربين تدريبا واعياً لنشر الإسلام، وإحياء الإمامة الإسلامية العادلة بطريق الإقناع والتعليم والمناقشة والمنطق.[4]

فقد عرفت بلاد المغرب بفضل الإمامة الرستمية الاستقرار، فقد أوجدت الدولة الرستمية، بفضل علاقاتها الطيبة وحسن جوارها مع الدول التي قامت في بلاد المغرب – على الرغم من اختلاف مذاهبها

---

[1] أبا زكريا، السيرة، مرجع سابق، ص ص 63-64.

[2] محبوب بن الرحيل: من علماء الإباضية في عمان، في القرن الثاني الهجري وأوائل الثالث الهجري، أما جده فهو من تلاميذ جابر بن زيد، انظر السمائلي، إزالة الوعثاء، مصدر سابق، ص 47.

[3] سيدة كاشف، إباضية عمان، مصدر سابق، ص 269.

[4] السمائلي، الحقيقة والمجاز، المصدر السابق، ص 67.

– نوعاً من الاستقرار والوحدة بين المغاربة، أدى إلى دفع الحضارة الإسلامية نحو التقدم والازدهار، كما أدى إلى ازدياد انتشار الإسلام في أعماق أقاليم المغرب، فضلاً عن ازدياد التعريب بين المغاربة.[1]

كذلك قامت العلاقات بين الدولتين الرستمية والأموية في الأندلس على أساس التحالف القوي المتين، والصداقة المتبادلة، كما حرص الرستميون على أن تكون علاقتهم مع مصر علاقة حسن جوار، وعلى الرغم من أن العلاقات السياسية كانت ضعيفة، فقد نشطت العلاقات التجارية والثقافية.

فقد كان عدد كبير من المصريين على المذهب الإباضي، بل من بين هؤلاء الإباضية المصريين علماء لهم وزنهم في رأي الرستميين، فكانوا مرجعاً لهم في شؤونهم وفتاويهم.[2]

ويذكر الشماخي أن عدل عبد الرحمن بن رستم جذب إليه الإباضية وغيرهم من سائر البلدان، فسار التجار (أصحاب رؤوس الأموال) بما لديهم إلى تاهرت من مصر وافريقية والمغرب.[3]

وقد ارتبط الإسلام بطرق التجارة، فكانت الدولة الرستمية على صلة تجارية وثيقة فيما يلي المغرب جنوباً في الصحراء وبلاد السودان، فكانت أول من نشر الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية في أقطار السودان، فكان التجار والفقهاء يحملون الإسلام إلى تلك الأقطار النائية، بل إن بعض التجار كان يجمع بين التجارة والتعليم فيقومون بمزاولة النشاط الاقتصادي والتعليمي، وينشئون المساجد والزوايا والربط ومدارس تعليم القرآن.

وكان التجار والفقهاء يؤثرون في السودان بنظافتهم، وأمانتهم وسلوكهم ولهذا وجد الإسلام طريقه إلى الصحراء والسودان في القرون الثلاثة الأولى للهجرة بفضل تجار الإباضية ودعاتهم، وبفضل مصاهرتهم لأهل البلاد، فظفر الإسلام بأقوى القبائل وأشجعها، وأكثرها عدداً ثم قوي الإسلام والمسلمون إلى أن قامت بعد ذلك الامبراطوريات الافريقية الكبرى، وقد ظهرت في هذه المناطق بعض

[1] محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط2، دار القلم، الكويت 1987، ص 214.

[2] محمد عيسى الحريري ، المرجع نفسه، ص 192.

[3] الشماخي، سير، مصدر سابق، ص 158، د. سيدة كاشف، المرجع السابق، ص 299.

المؤثرات الإباضية التي تركها الإباضية، بدت في بعض من شاهدهم الرحالة ابن بطوطة من الإباضية في بلاد السودان في رحلته المشهورة.

ومع أن الدولة الرستمية كانت إباضية المذهب، إلا أنها لم تفرض مذهبها على الناس، بل تركت الناس يختارون من المذاهب الإسلامية ما يشاؤون، فكانت دولة الحرية الفكرية، وحرية الكلام في حدود الدين الإسلامي، فكان فيها المالكية والمعتزلة والصفرية، وكل المذاهب الموجودة في المشرق.

كذلك رحبت الدولة الرستمية في ديارها بالعلويين أبناء علي بن أبي طالب، أما أهل الذمة من اليهود والنصارى فقد تمتعوا في الدولة الرستمية بكافة حقوقهم التي فرضتها الشريعة الإسلامية ووجدوا في الميادين الاقتصادية والعلمية، وفي مجال الأعمال المختلفة كل ما يجده المسلمون.

وصاحب انتشار الإسلام انتشار اللغة العربية، لغة القرآن، والحضارة الإسلامية، وقد جعلتها الدولة الرستمية لغة رسمية للدولة فانتشرت بين البربر، وكان الوعاظ والعلماء يحثون الناس على تعلمها، ومع أن اللغة البربرية كانت لا تزال لغة التخاطب في المنازل والأسواق وفي القرى النائية وفي الجبال، إلا أن كثيراً من الكلمات العربية دخلت في اللغة البربرية، كما أصبحت اللغة البربرية تكتب بحروف عربية.[1]

من هذا العرض يتضح أنه إذا كان الفضل الأول في دخول الإسلام في بلاد المغرب يرجع إلى العرب الفاتحين، فإن الفضل الأكبر في نشر الإسلام وازدهاره في بلاد المغرب يرجع إلى دعاة الإباضية، فقد اعتبرت الإباضية بلاد المغرب أرض جهاد لنشر الإسلام ولقيام الإمامة الإسلامية العادلة، وربطوا بينهم وبين بلاد المغرب بواسطة الدعاة، وحملة العلم والتجار.

وفي القرنين الثاني والثالث ظهر أثر جهود الإباضية، فقامت الإمامة الإباضية التي التزمت في سياستها بالدين، وأحيت سيرة الخلفاء الراشدين، وأنعشت المغرب الأدنى والأوسط، وتقدمت بلاد

[1] محمد علي ديوز، المغرب الكبير، ج2، ص 333، سيدة كاشف، المرجع السابق، ص 299.

المغرب بفضل جهود الدولة الإباضية التي قامت بها في نواحي الحضارة الإسلامية، وصار المغرب العربي حصناً للدين ورمزاً للأخوة الإسلامية.

إن إسلام أهل المغرب تمّ بالدرجة الأولى بعد مرحلة الفتح الإسلامي عن طريق الدعوة والحجة والإقناع بفضل الفقهاء والدُعاة من الإباضية وغيرهم، كما أنشأ الإباضيون جماعات عربية إسلامية من التّجار والزرّاع والصنّاع انشر الإسلام، ولا سيما في جزيرة جِربَة[1]، ولقد قام الإسلام في بلاد المغرب على أساس حب الجار والتسامح مع أهل الذّمة، وانتشار المساجد والكتاتيب، ولعب الإباضيون في هذا المجال دوراً جيداً، مثال ذلك ما قام به العالِم الإباضيّ عمر بن يمكتن، وهو من علماء النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، فقد أنشأ أول مدرسة لتعليم القرآن الكريم في جبل نفوسة، أصبحت مناراً للعلم في المنطقة كلها[2].

ويبيّن تاريخ الإباضية في بلاد المغرب بوضوح صلة المغرب بالمشرق، وكان الأباضية وعلماؤها يرعون هذه الصلة دائماً ويحرصون عليها، وأصبحت بلاد المغرب بفضل هذه الصلة القوية أصيلة في العروبة والإسلام.[3]

وبعد تصدّع حركات الإباضيّة في المغرب الأدنى وافريقية، ومقتل إمام الحركة في المغرب أبو الخطاب المعافري على يد جيوش الخلافة العباسية، خرج نائبه على القيروان، عبد الرحمن بن رستم، وهو أحد حملة العلم الخمسة، متوجّها إلى المغرب الأوسط، ونجح في إقامة الدولة الرستمية في المغرب سنة 162ه/779م[4]، وقد حصل على تأييد قبائل كثيرة من البربر كانت تسكن منطقة تاهرت القديمة،

---

[1] محمد بن عبد الله ابن الأبّار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1963، ص 77.

[2] عبد الوهاب حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، القسم الأول، تونس، 1965م، ص 80.

[3] خليل آمال محمد محسن، "دور الإباضية في نشر الإسلام في بلاد المغرب"، **مجلة المؤرخ العربي**، العدد 52، بغداد، 1995م، ص 102.

[4] أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق: إسماعيل العربي، ط2، بيروت، 1982م، ص ص 69-71.

منها: لماية، وهوراة، ولواتة، ومكناسة، ومزاتة، وأغلبها أباضيّة[1]، وقد اختارته هذه القبائل إماماً لها[2]، وكان من الضروري لهذه الدولة الجديدة أن يكون لها مدينة تكون عاصمة لها، ومركزاً للمذهب، فأنشأوا مدينة تارهت، التي أصبحت حرزاً وحصناً لجماعة المسلمين، وسميت بالمعسكر المبارك[3]، وعرفت بلاد المغرب بفضل الإمامة الرستمية الاستقرار، وذلك لعلاقاتها الطيّبة مع جيرانها من الدول التي قامت في المغرب، على الرغم من اختلاف مذاهبها، الأمر الذي أدى إلى ازدياد انتشار الإسلام في أعماق أقاليم المغرب، فضلاً عن ازدياد التعريب بين سكانه من المغاربة[4].

وقد ارتبط الإسلام بطرق التجارة، فكانت الدولة الرستمية على صلة تجارية وثيقة بما يلي المغرب جنوباً في الصحراء وبلاد السودان، فكانت أول من نشر الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية في أقطار السودان، ولا سيما الأجزاء الوسطى منه، وقد بلغتها الدعوة عن طريق تجار بني رُستم، فكان التجار والفقهاء يحملون الإسلام إلى تلك الأقطار النائية، بل إن بعض التجار كان يجمع بين التجارة والتعليم، فيقومون بمزاولة النشاط الاقتصادي والتعليمي، وينشؤون المساجد، والزوايا، والربط ومدارس تعليم القرآن الكريم[5]، ولعل خير دليل على انتشار الإسلام في جنوب الصحراء أول الأمر مع التجارة، وأن المسلمين الأولين كانوا على مذهب أولئك التجار، هو أن التجارة كانت مع السودان خاصة حكراً لجماعات الخوارج، انطلاقاً من دولتَيهم في تاهرت وسجلماسة، لسيطرتهم على المداخل الصحراوية لتلك البلاد[6].

---

[1] عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، الاسكندرية، 1979م، ص 110.

[2] ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، بيروت، 1986م، ص ص 30-31.

[3] أبو زكريا، المصدر السابق، ص ص 81-82، وينظر أيضا: البكري، المصدر السابق، ص 67.

[4] محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط2، الكويت، 1987م، ص 214.

[5] آمال خليل، المرجع السابق، ص 103.

[6] عز الدين عمر موسى، انتشار الإسلام في غرب إفريقيا حتى القرن السادس عشر الميلادي، بحث منشور ضمن محاضرة ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، بغداد، 1985م، ص 50.

وعلى الصعيد الثقافي والحضاري، أصبحت تاهرت وسِجلماسة من المراكز الثقافية الكبرى في بلاد المغرب، ووفد إليها طلاب العلم من سائر أنحاء المغرب.[1]

ومع أن الدولة الرستمية كانت إباضية المذهب، إلا أنها لم تفرض مذهبها على الناس، بل تركت الناس يختارون من المذاهب الإسلامية ما يشاؤون.

وهكذا يتبيّن أنه إذا ما كان الفضل الأول في دخول الإسلام إلى بلاد المغرب يرجع إلى العرب الفاتحين وقادتهم وفقهائهم ودُعاتهم، فإن الاستمرار بنشر الإسلام وازدهاره في بلاد المغرب يرجع إلى دعاة الإباضيّة، الذين اعتبروا بلاد المغرب أرض جهاد لنشر الإسلام، وقيام الإمامة العادلة، وربطوا بينهم وبين بلاد المغرب بواسطة الدعاة وحملة العلم والتجار.

[1] عز الدين عمر موسى، انتشار الإسلام في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 52.

المبحث الثاني: إسهامات المذهب الإباضي في قيام الدولة الرستمية.

تنتسب الدولة الرستمية إلى مؤسسها عبد الرحمن بن رستم الذي تعددت المراجع والمصادر في أصله ونسبه، إلا أن الأغلبية تجمع على أنه فارسي الأصل، حيث ذكر اليعقوبي عن تيهرت أنه غلب عليها قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي،[1] بل من أشراف فارس، حيث يرجع نسبه إلى بهرام[2] بن كسرى الملك الفارسي، فهو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى، ويرتفع البكري بنسب عبد الرحمن بن رستم إلى أصل ملكي يرتبط بأكاسرة الفرس الساسانيين، فجده هو: "بهرام بن ديشيرار بن سابور بن بابكان بن سابور ذي الكتاف، الملك الفارسي"،[3] ونفس الرواية نجدها عند ياقوت الحموي مع مزيد من الإيضاح للوصول بهذا النسب إلى الأصل الملكي الفارسي، حيث يقول: "هو بهرام بن بهرام جور بن شابور بن باذكان بن شابور ذي الأكتاف ملك الفرس".[4]

وتذكر المستشرقة الإسبانية ماريا خيسوس فيغيرا أن عبد الرحمن بن رستم ظل مجهولا اسم والده، وقد بدأ حياته في مكانة لائقة ضمن بلاط عبد الرحمن الثاني (206-238ه).[5] كما يذكر المؤرخون أن رستم والد عبد الرحمن انتقل إلى العراق فيما بعد حيث ولد عبد الرحمن، والاحتمال الأكبر أنه ولد

---

[1] اليعقوبي، البلدان، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص 195.

[2] بهرام: مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو بهرام بن ذوشرار بن سابور بن بابكان بن سابور من أكاسرة الفرس، ينظر: البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، نشر دي سلان، الجزائر، 1857م، ص 267.

[3] البكري، المصدر السابق، ص 67، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص 372.

[4] ياقوت أبو عبد الله شهاب الدين الحموي، معجم البلدان، بيروت، 1957م، ص 8، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1980، ج1، ص 225.

[5] ماريا خيسوس فيغيرا: "محمد بن عبد الرحمن بن رستم في قرطبة"، **مجلة الأصالة**، العدد 41، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، 1977، ص ص 65-67.

في أواخر القرن 1ه/7م، وقد نشأ وحيد أبويه،[1] أو في النصف الأول من القرن 2ه/8م (100-110ه).[2] ويقول أبو زكرياء: "بأن عبد الرحمن أصله من العراق، ومات أبوه بمكة وتزوجت أمه رجلاً من أهل القيروان، حيث اصطحب الابن وأمه معه إلى وطنه بالمغرب،[3] فقد كان طفلاً صغيراً حيث انتقل من الحجاز إلى القيروان، إذ في هذه الفترة تسربت آراء مذهبي الإباضية والصفرية إلى بلاد المغرب،[4] وقد وجد فيهما المغاربة ملجأ ومنجى من جور بعض الولاة الأمويين، ورأوا في تلك المعتقدات الإسلام الحقيقي، ووجدوا في مبادئهما ما يطابق ميولهم وعقليتهم المحبة للاستقلال والعدل، وقد عمل المذهبان على تعميق جذور الإسلام في نفوس المغاربة.

وفي هذا الصدد يقول ألفرد بال: "إن دعاة الخوارج كانوا خير رسل الإسلام في بلاد المغرب منذ بداية القرن الثاني للهجرة"،[5] أصبحت القيروان بعد ذلك موطناً جديداً لعبد الرحمن بن رستم، والتي كانت مصراً من الأمصار الإسلامية الهامة، تشع بالعلم في بلاد المغرب كلها،[6] ويذكر ابن الصغير أن عبد الرحمن بن رستم عاش صباه في القيروان في بيت إسلامي في ظل رعاية أمه وزوجها، فنشأ على

---

[1] جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 3 شارع زيروت يوسف، الجزائر، 1986م، ص 62.

[2] إبراهيم بحاز، عبد الرحمن بن رستم، مرجع سابق، ص 8، عمار عمورة، مرجع سابق، ص 84.

[3] أبو زكرياء يحيى، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م، ص ص 35-36، الشماخي، كتاب سير المشائخ، طبعة حجرية، قسنطينة، ج1، ج2، ص 123، ينظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، شخصيات إسلامية، عبد الرحمن بن رستم، روضة الجندي، العدد 1، مؤسسة الاتصال والإعلام والتوجيه، الجزائر، 1990، ص 9.

[4] إبراهيم بحاز، عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص 9، ينظر أيضا: محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، ليبيا، تونس، الجزائر، موريتانيا، دار العودة، بيروت، 1976، ص 108.

[5] ألفرد بال، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، ص 147.

[6] إبراهيم العدوي، بلاد الجزائر، مرجع سابق، ص 187.

الأخلاق الفاضلة والعادات السامية، وأقبل على العلم في مسجد القيروان، فتعلم العربية وحفظ القرآن،[1] لكنه مال إلى تعاليم الخوارج كما يقول ابن خلدون: "وأخذ بدين الخارجية والإباضية منهم"،[2] وكان ذلك بتأثير من الداعية سلمة بن سعيد الذي أحاطه برعاية خاصة وأرسله رفقة مجموعة من الشباب إلى البصرة بالمشرق[3] لتلقي المذهب من أصوله، وكان ذلك سنة 135ه.[4]

ويقول أب زكرياء أن عبد الرحمن بن رستم ظهرت عليه علامات الاهتمام بالإباضية، فلما رآه أحد دعاة هذا المذهب في هذه الحالة قال له: "يا فتى إن كنت طالباً ما أراك تطلبه، فاقصد إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي.. تجد عنده ما رجوت"[5]، وبقي في البصرة خمس سنوات حتى صار أحد حملة العلم الإباضي إلى افريقية لينخرط فيما بعد في العمل السياسي، ويصبح أقوى مساعدي أبي الخطاب الذي عينه قاضياً على مدينة طرابلس، ثم والياً وقائداً للجيش في مدينة القيروان. إذن كيف تم لعبد الرحمن بن رستم الوصول إلى هذه المناصب؟ ومتى تم له ذلك؟ وما هي المراحل والظروف التي تمت فيها قيام الدولة الإباضية الأولى في المغرب؟

تم الإعلان عن قيام الدولة الإباضية الخطابية في محرم سنة 140ه/757م في موضع يعرف باسم صياد،[6] وتمكن الإباضية بعد مبايعة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري بالإمامة من الاستيلاء على طرابلس، واتخذوها مقراً لهم، ودانت لأبي الخطاب البلاد بالطاعة، فاكتسب حب الناس وامتد سلطانه شرقاً إلى برقة وغرباً إلى القيروان وجنوباً إلى فزان، وقد اختار صديقه عبد الرحمن بن رستم

---

[1] ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد الناصر وإبراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986م، ص ص 10-12.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المصدر السابق، ص 241.

[3] إبراهيم بن يوسف، الحكم والسياسة في الإسلام من منظور الإباضية، مطبعة الفنية للألوان، الجزائر، د.ت، ص 47.

[4] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج3، ص ص 189-190.

[5] أبو زكرياء يحيى، المصدر السابق، ص 36، وقيل أن امه هي القائلة له ذلك، الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 124.

[6] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص 536، الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 23.

ليكون قاضياً على طرابلس، في تلك الفترة كانت قبيلة ورفجومة قد عاثت في بلاد افريقية فساداً واستحلت فيها المحارم وسفكت الدماء وأساء رجالها إلى الإسلام حتى قيل أنهم ربطوا الخيل بمسجد القيروان،[1] الأمر الذي دفع أتباع الإباضية بزعامة أبي الخطاب إلى ضرورة الوقوف أمام المعتدي على حرمات الله وكسر شوكته، فتوجهوا إلى القيروان سنة 141ه، وتمكنوا من استرجاعها والاستيلاء عليها، ليعين بن رستم والياً عليها، لتصبح إفريقية تابعة للدولة الإباضية بطرابلس.

وعلى إثر علم الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور انفصال افريقية عن الكيان الإسلامي، أرسل جيشاً بقيادة محمد بن الأشعث لاسترجاعها، فتم له القضاء على أبي الخطاب وجيشه[2] في معركة تاورغة[3] سنة 144ه/761م، وبالتالي القضاء على الدولة الإباضية بطرابلس الأمر الذي دفع بعبد الرحمن بن رستم للعودة إلى القيروان بعدما تفرق جيشه، فوجدها ثائرة على عامله، فلم يجد خياراً أمامه سوى التسلل خفية نحو المغرب الأوسط وهناك احتضنته القبائل الإباضية ومنها لماية لسابق حلف معها.[4]

أما الذين ارتحلوا معه إلى جانب أهله وابنه عبد الوهاب كانت غالبيتهم من زناتة وهوارة، من طرابلس والأوراس، لتكون بذلك أول خطوة في تأسيس الدولة الرستمية، أما القبائل البربرية الإباضية فقد لجأت بعد فرار عبد الرحمن إلى المغرب الأوسط إلى الهدوء والكتمان حتى كونت لنفسها قوة، خاصةً في طرابلس حيث توجد قبيلة نفوسة[5] واجتمعوا على مبايعة إمام للدفاع عنهم، فوقع اختيارهم

---

[1] صياد: موضع غربي طرابلس، ينظر: أبو زكرياء يحيى، المصدر السابق، ص 57، ينظر أيضا: اليعقوبي، البلدان، المصدر السابق، ص 82، ينظر أيضا: الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص ص 124-125.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 81، الشماخي، المصدر السابق، ج1، 127.

[3] تاورغة: تبعد بمسيرة أربعة أيام عن مدينة طرابلس شرقاً، اليعقوبي، المصدر السابق، ص 86.

[4] زهير أحداون، شخصيات ومواقف تاريخية، دار التراب للنشر والتوزيع، طبع بمؤسسة الشروق للنشر والإعلام والطباعة، القبة، الجزائر، د.ت، ص 42.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 71، ينظر أيضا: جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 28.

على أبي حاتم الذي بايعوه بالإمامة سنة 145ه/762م،[1] ورغم تحقيقه عدة انتصارات على الولاة، إلا أن يزيد بن حاتم تمكن من قتله سنة 155ه/772م.[2]

وهكذا عادت الإباضية إلى الكتمان من جديد، وتوجه العديد من أتباع هذا المذهب إلى المغرب الأوسط حيث يوجد عبد الرحمن بن رستم الذي كان يعد أبرز شخصية إباضية بعد مقتل أبي الخطاب وأبي حاتم، ولما كثر عدد الإباضيين في المغرب الأوسط، بدؤوا يفكرون في بناء مدينة تأويهم وتكون حصناً لهم يحميهم من الأخطار الخارجية التي تهددهم، وبالتالي كانت تيهرت والتي ستصبح عاصمة الدولة الإباضية الجديدة موقعاً مناسباً لهذه الدولة، والمعتقد أن عبد الرحمن بن رستم لم يفكر في ربط مصيره ومصير أتباعه بالمغرب الأوسط، إلا بعد أن فشلت محاولاته في العودة من جديد إلى افريقية.

ونستنتج من خلال هذا العرض أن المحاولة الأولى لتأسيس الدولة الرستمية كانت في طرابلس، وهي مركز الإباضية الأول، غير أن هذا الطموح تبدد بمقتل أبي الخطاب وانسحاب عبد الرحمن بن رستم من القيروان نحو المغرب الأوسط، ثم الشروع في بناء مدينة تيهرت[3] مع الإباضيين الذين انضموا إليه في المنطقة، مما يدل أن المذهب الإباضي كان قد وصل إلى هذه الربوع قبل التجاء عبد الرحمن بن رستم إليها.

---

[1] أبو حاتم: هو أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي الهواري، مكث في مدينة طرابلس أربعين سنة، وكانت ولايته ولاية الدفاع وطلب الحق، وكان يرسل بما جمع من الصدقات للإمام عبد الرحمن بن رستم قبل أن يتولى هذا الأخير ولاية الظهور، ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 36، ينظر أيضا: إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 69.

[2] يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب: كان والياً على مصر، أرسله أبو جعفر المنصور إلى طرابلس لما بلغته أحداث المغرب وثوراته ومقتل عاملها عمر بن حفص، ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 601.

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 184.

الخاتمة

خاتمة:

إن تحديد زمن معين لدخول الخوارج إلى المغرب مسألة صعبة، ويحتمل أن يكون دخولهم في النصف الثاني من القرن الأول الهجري في شكل مهاجرين، وتجار، وجنود في الجيوش الإسلامية، ودعاة منظمين مثل "سلمة بن سعد" الذي نجح في استمالة عدد من الرجال وأرسلهم إلى زعيم المذهب أبي عبيدة ليتلقوا العلم عنه ويعودوا إلى المغرب، وقد انتشر هؤلاء الخوارج بين البربر في القرى والأرياف واتبعوا كل الطرق لنشر مذهبهم، يظهرون التدين والعلم والمهارة مستغلين في ذلك حماس البربر وإقبالهم الشديد على تعلم أصول الدين، ثم انشغال الولاة بتثبيت الفتح، وتركيزهم على الجانب الثوري ومبادئ العدل والمساواة والشورى، فنجح بذلك الخوارج في نشر مذهبهم وتأسيس كيانات سياسية مثل إمارة الصفرية في سجلماسة سنة 140ه/757م، وأول دولة إسلامية مستقلة عن الخلافة العباسية وهي الدولة الرستمية في المغرب الأوسط 160ه/776م.

لقد أسهم الإباضيِّة بتراثهم المكتوب في الفكر الإسلامي، وفي الفكر السياسي ببناء كيانات الإمامة، وتطبيق السياسة الشرعية المقتفية آثار الخلفاء الراشدين، ولهم دور بارز في نشر الإسلام وحضارته وذلك في حقول التجارة، والعمران والري، والنظم الاجتماعية والتربوية.

كما أن نشأة الفكر الإباضي، يعود بالدرجة الأولى إلى العامل الديني والسياسي الذي تمثل في مبايعة عبد الله بن وهب الراسبي، من طرف بعض الصحابة والتابعين الذين أنكروا التحكيم على علي بن أبي طالب، وفيهم من أهل بدر ومن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة، كحرقوص بن زهير السعدي وفروة بن نوفل وسارية بن لجام السعدي، وكانت هذه النشأة في شوال 37هـ، وقد رفع أصحاب عبد الله بن وهب الراسبي الشعار التالي: قبلت الدنية ولا حكم إلا لله، وهكذا نرى أن الذين مع علي في صفين متوادعين فروا عليه وعرفوا لذلك بالخوارج أو الشراة عند المؤرخين عامة، لكن الشيء الوحيد الذي يربط الإباضية بالخوارج هو رفضهم المشترك للتحكيم، والدعوة إلى إمامة المسلمين عن طريق حرية الاختيار والكفاءة الشرعية لهذا المنصب بين المسلمين جميعًا.

هذا وتحيى اليوم الجماعات الإباضية التقاليد العريقة في بلاد المغرب، بمكتبات مخطوطاتها المميزة وصلاتها الجماعية الوشيجة. وتشهد الإباضية هدوء وسكينة على وجه التعايش الذي لطالما توافق مع التقليد الإسلامي المنفتح على بقية الشعوب المتعاونة معها.

إن المذهب الإباضي مذهب موجود في عالمنا العربي من الخليج إلى المحيط، وله أتباعه، ولكن وجوده غير ملموس لأتباع أهل المذهب السلمية واللا عنف مع المذاهب الأخرى، إلا في فترات قليلة على مر التاريخ مما جعلهم مذهب غير محسوس وغير ظاهرة بالوطن العربي.

بعون من الله ورعايته انتهيت من إعداد بحثي هذا والذي خرجت منه بالنتائج التالية:

- المذهب الإباضي انتشر في كافة العالم الإسلامي في الشرق والغرب.
- ينسب المذهب الإباضي لعبدالله بن إباض ولكن المؤسس الحقيقي له هو جابر بن زيد وهذا هو سبب تسمية الإباضيين بهذا الاسم.
- عندما انتشر المذهب في كافة أرجاء العالم الإسلامي وجدت هناك عده علاقات تربطهم مع بعض منها العلاقات الثقافية والتجارية والدينية والسياسية وتبادل المراسلات في مواسم الحج وغيرها.
- حياة الإباضين واعتمادهم على الزراعة والتجارة والصناعة وقد كانت سبب من أسباب انتشار المذهب.
- الأصول التسعة للمذهب الإباضي وقد تكون على سبيل الحصر منها التوحيد والإيمان ونفي رؤية الله عز وجل والقدر والعدل وغيرها من الأصول.

ومن الصعوبات التي واجهتني قد تكون المصادر و لكن الشغف إلى المعرفة هي من وجهني للبحث الأشمل واعتمدت على مكتبة جامعة المولاي الطاهر بسعيدة، والمكتبة الرئيسية لجامعه أبي بكر بلقايد – تلمسان– والمواقع الالكترونية من الشبكة العالمية.

الملاحق.

الملحق رقم 01:

المذاهب في المغرب الأوسط في النصف الأول من القرن 2هـ/8م.[1]

[1] إبراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع السياسية والحياة الاقتصادية، ط2، 1414هـ/1993م، ص 165.

الملحق رقم 02:

رقم (٢)
توغل تجارة الخوارج نحو الصحراء الكبرى والسودان ------
توغل تجارة الخوارج نحو الساحل ———►

توغل تجارة الخوارج نحو الصحراء الكبرى والسودان ونحو الساحل.[1]

[1] إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص 255.

الملحق رقم 03:

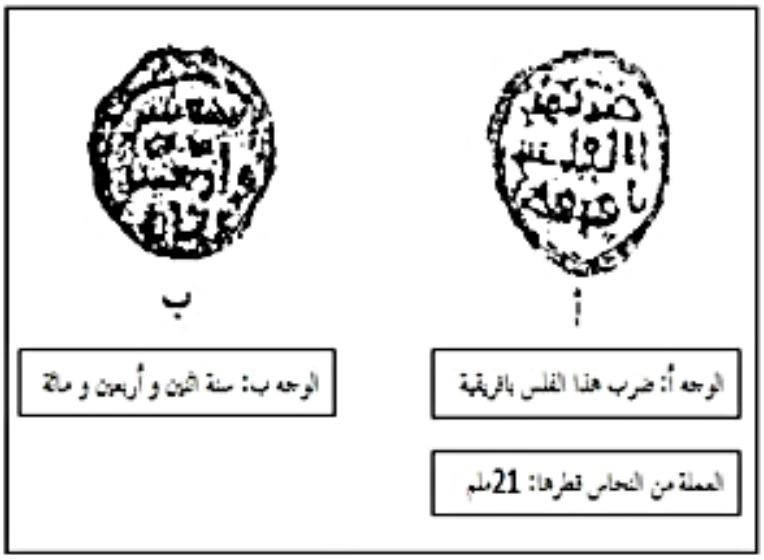

رقم (٣)
فلوس إباضية

نقود إباضية.[1]

[1] إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 183.

الملحق رقم 04:

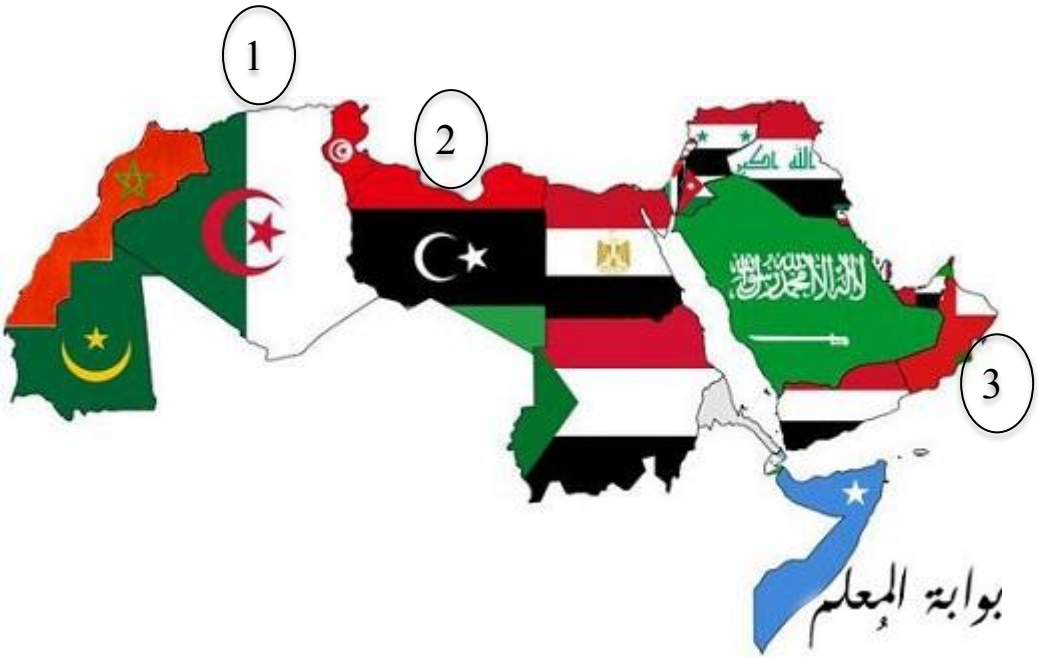

خريطة المذهب الإباضي بالوطن العربي[1].

1 الجزائر

2 ليبيا

3 اليمن

[1] http://www.islamist-movements.com/2657.

قائمة المصادر والمراجع.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم. رواية ورش.**

1/ المصادر:

1) ابن الأبّار محمد بن عبد الله ، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1382ه/ 1963م.

2) ــــــــــــــــــــ، الحلة السيراء، تحقيق: د.حسين مؤنس، ط1، القاهرة، 1382ه/ 1963م.

3) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد الناصر وإبراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1406ه/ 1986م.

4) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، م7، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، الدكن، 1325هـ/1907م.

5) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ج7، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل، ليدن، 1308ه/ 1891م.

6) ابن سعد محمد، كتاب الطبقات الكبير، م5، تحقيق إدوارد سخو مطبعة بريل ليدن، 1323ه/ 1905م.

7) أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق: إسماعيل العربي، ط2، بيروت، 1402ه/ 1982م.

8) ــــــــــــــــــــ، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1399ه/ 1979م.

9) الأشعري أبو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للنشر، 1411ه/1990م.

10) الباروني، الأزهار الرياضية، ج2، تحقيق: محمد علي الصليبي، سلطنة عمان، 1407ه/ 1987م.

11) البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، 1407ه/ 1992م.

12) ــــــــــــــــــــــــــــــــ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، نشر دي سلان، الجزائر، 1273ه/1857م.

13) البلاذري أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420ه/ 2000م.

14) الدرجيني أبو العباس، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق وطبع إبراهيم طلابي، مطبعة البعث، ج2، قسنطينة، الجزائر، 1393ه/1974م.

15) سالم بن حمود السمائلي، إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، وزارة التراث القومي والثقافة للنشر والتوزيع، 1399ه/1979م.

16) ــــــــــــــــــــــــ، الحقيقة والمجاز، سلطنة عمان، 1400ه/1980م.

17) السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط1، مصر، 1371ه/ 1952م.

18) الشماخي أبي العباس أحمد، كتاب سير المشائخ، طبعة حجرية، قسنطينة، ج1، ج2، د.ت.

19) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم *البلدان*، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1415ه/1995م.

20) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، ج6، القاهرة، 1382ه/1963م.

21) عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1397ه/1977م.

22) الكندي أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب، الولاة والقضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1424ه/2003م.

23) مجهول، الاستبصار، تحقيق د. سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الاسكندرية، 1377ه/1958م.

24) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني أبو الفتح، الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية للنشر، ط2، 1413ه/1992م.

25) المراكشي ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1400ه/1980م.

26) اليعقوبي، البلدان، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422ه/2002م.

2/ المراجع:

1) إبراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع السياسية والحياة الاقتصادية، ط2، 1414هـ/1993م.

2) إبراهيم بن يوسف، الحكم والسياسة في الإسلام من منظور الإباضية، مطبعة الفنية للألوان، الجزائر، د.ت.

3) ابن جميع أبو حفص عمر، مقدمة التوحيد، شرح أبي العباس الشماخي وأبي سليمان الثلاثي، ط2، الجزائر، 1392هـ/1973م.

4) ابن حميد الحارثي، العقود الفضية في أصول الإباضية، وزارة التراث القومي والثقافة للطباعة، سلطنة عمان، 1403ه/1983م.

5) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والأندلس، تحقيق أنيس الطباع دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1383ه/ 1964م.

6) ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم قتيبة الدينوري، المعارف، القاهرة، 1379ه/1960م.

7) أبو إسحاق إبراهيم إطفيش، الفرق بين الإباضية والخوارج" ، تحقيق أحمد بن سعود السيابي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، د.ت.

8) أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي، السير والجوابات، نشر: وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان، تحقيق: سيدة إسماعيل، ج2، عمان، 1410ه/1989م.

9) أبو زهرة الإمام محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1416ه/ 1996م.

10) أبو عمار عبد الكافي، الموجز (آراء الخوارج الكلامية)، تحقيق عمار طالبي جزءان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1398هـ/1978م.

11) أحمد جلي أحمد محمد، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة، الناشر مركز الملك للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1406هـ/1986م.

12) ألفرد بال، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.

13) بكير بن سعيد أعوشت، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، مكتبة وهبة للنشر، ط3، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1408هـ/1988م.

14) الجربي محمد أبو راس، مؤنس الأحبة في أخبار جربة، تونس، 1377ه/ 1958م.

15) جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 3 شارع زيروت يوسف، الجزائر، 1406ه/1986م.

16) الحجري علي بن محمد ، الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات، ط1، سنة 1420هـ/1999م.

17) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ط6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1381ه/1961م.

18) حسين مؤنس، فجر الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-756م)، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة، 1379ه/1959م.

19) خميس بن راشد العدوي، دراسة في المنهج العقدي الإباضي، طبع مكتبة الغبيراء، سلطنة عمان، د.ت.

20) الزاوي الطاهر أحمد ، شخصيات إسلامية، عبد الرحمن بن رستم، روضة الجندي، العدد 1، مؤسسة الاتصال والإعلام والتوجيه، الجزائر، 1411ه/1990م.

21) زهير أحداون، شخصيات ومواقف تاريخية، دار التراب للنشر والتوزيع، طبع بمؤسسة الشروق للنشر والإعلام والطباعة، القبة، الجزائر، د.ت.

22) سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، الأوائل للنشر والتوزيع، ط3، دمشق، 1426ه/ 2005م.

23) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب، دار المعارف الاسكندرية، 1384ه/1964م.

24) ــــــــــــــــــــ، تاريخ المغرب العربي، الناشر منشأة المعارف، ط1، ج4، 1419ه/1998م.

25) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الاسكندرية، ط2، ج2، 1420ه/1999م.

26) *سيدة* إسماعيل *كاشف*، *اباضية عُمان* ، سلطنة عمان، 1399ه/ 1979م.

27) عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، الاسكندرية، 1399ه/ 1979م.

28) عبد العزيز المجذوب، الصراع المذهبي بإفريقية، دار ابن حزم للنشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1429ه/ 2008م.

29) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي ، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد الخشت، مكتبة ابن سينا للنشر، 1425ه/2003م.

30) عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان ، مكتبة نور الدين السالمي للنشر والتوزيع، عمان، 1394هـ/1974م.

31) عبد الوهاب حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، القسم الأول، تونس، 1385ه/ 1965م.

32) عز الدين عمر موسى، انتشار الإسلام في غرب إفريقيا حتى القرن السادس عشر الميلادي، بحث منشور ضمن محاضرة ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، بغداد، 1405ه/ 1985م.

33) علي يحيى معمر ، الاباضية في الجزائر، ط1، القاهرة، 1399ه/ 1979م.

34) ـــــــــــــــ ، الإباضية في ليبيا، ط1، مكتبة وهبة، مصر، 1384ه/1964م.

35) ـــــــــــــــ، الإباضية في موكب التاريخ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1384ه/ 1964م.

36) ـــــــــــــــ، الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث، مكتبة وهبة، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1396هـ/1976م.

37) عمرو خليفة النامي، دراسات عن الإباضية، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عمان، 1420ه/ 1999م.

38) ـــــــــــــــ، دراسات عن الإباضية، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422ه/2001م.

39) العميد عبد الرزاق محمد أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، ج3، 1400ه/1980م.

40) عوض محمد خليفات، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية، عمان، طبعة/ 1402ه/1982.

41) المبرد أبو العباس، الكامل، باب الخوارج، دار الحكمة، دمشق، 1392ه/ 1972م.

42) محمد علي دبوز، تاريخ المغرب، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، ج2، مصر، 1384ه/ 1964م.

43) محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط2، الكويت، 1407ه/ 1987م.

44) ـــــــــــــــ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط2، دار القلم، الكويت، 1407ه/1987م.

45) محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة –الدار البيضاء–الطبعة الثانية/1405ه/1985م.

46) ــــــــــــــــــ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن 4ه، دار الثقافة للنشر، المغرب الأقصى، ط1، 1405ه/ 1985م.

47) ــــــــــــــــــ، الخلافة والخوارج، دار العودة، بيروت، 1396ه/1976م.

48) ــــــــــــــــــ، الخوارج في المغرب الإسلامي، ليبيا، تونس، الجزائر، موريتانيا، دار العودة، بيروت، 1396ه/1976م.

49) يحيى هويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الافريقية، مكتبة النهضة المصرية، 1386ه/1966م.

3/ المجلات والملتقيات:

1) خليل آمال محمد محسن، "دور الإباضية في نشر الإسلام في بلاد المغرب"، **مجلة المؤرخ العربي**، العدد 52، بغداد، 1416ه/1995م.

2) ماريا خيسوس فيغيرا: "محمد بن عبد الرحمن بن رستم في قرطبة"، **مجلة الأصالة**، العدد 41، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، 1397ه/ 1977م.

4/ المواقع الاكترونية:

1) http://www.alfida.jeeran.com/ipadia.htm. على، 2017/03/24 الساعة: 20:34.

2) http://www.islamist-movements.com/2657.

الفهرس.

مقدمة.....أ-ج
الفصل الأول: ماهية المذهب الإباضي 4
المبحث الأول: نشأة وتعريف المذهب الإباضي..... 5
•نشأة المدرسة الإباضية..... 5
-أماكن انتشار المذهب الإباضي 7
-أهم فرق الإباضية..... 7
•التعريف بالإباضية.....9
•شخصية عبد الله بن إباض..... 10
-رسالة عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان 10
•تحليل مضمون الرسالة.....11
المبحث الثاني: المرتكزات العقائدية للمذهب الإباضي 13
الفصل الثاني: انتقال المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب وتطوره السياسي قبل قيام الدولة الرستمية..... 22
المبحث الأول: العوامل التي أدت إلى انتشار المذهب الإباضي في المغرب العربي 23
المبحث الثاني: التطور السياسي للمذهب الإباضي وانعكاساته بالمغرب قبل قيام الدولة الرستمية 29
الفصل الثالث: الدور الثقافي للجماعة الإباضية ببلاد المغرب قبل قيام الدولة الرستمية..... 45
المبحث الأول: دور الإباضية في نشر الإسلام بالمغرب 46
المبحث الثاني: إسهامات المذهب الإباضي في قيام الدولة الرستمية 56
خاتمة 62
الملاحـــــــــــــــــــق 64
المصادر والمراجع..... 70
الفهـــــــــــرس 78
الملخـــــــــــص 80

الملخص.

ملخص:

ظهرت الخوارج على مسرح التاريخ السياسي للدولة العربية الإسلامية واقعياً بعد معركة صفين التي دارت بين الإمام علي رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان، فاعتزلت فرقة من جيش الإمام علي رضي الله عنه في منطقة حروراء قرب الكوفة سموا بالخوارج، وانقسم الخوارج إلى أربعة فرق رئيسية، تناولت في بحثي هذا إحدى هذه الفرق ألا وهي الإباضية وانتشارها في المغرب العربي وبعض تعاليمهم.

تعتبر الإباضية أقل فرق الخوارج تصرفاً، بل إن مذهبها قريب من مذهب أهل السنة، كما أن انتشار الإباضية في المغرب العربي كان نتيجة للمضايقات التي تلقوها من الخلافة العربية في العصر الأموي والعباسي، فكان لهم جهد كبير في المغرب العربي بفتح مدارس لتعليم القرآن الكريم ونشر اللغة العربية لغة القرآن والحضارة العربية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الخوارج، الإباضية، المغرب العربي.

Abstract:

Al-Khawarej phenomenon (dissidents) emerges pragmatically upon the theatre of the political history of the islamic Arab state, after the sefeen battle between Caliph Au and Maaweiha Bin Abi Sufian. A group of Au's army stand against him in Harwraa near Kufa is named AlKhawarej. Al-Khawarej is divided into four main parts and one of them (Al-Abadhia) is the core of this study and how it spread Arab Maghreb.

Al-Abadhia is regarded, as a lesser group in conduct and it is closer to Ahl-Al-Sunna. The prevailing of Al-Abadhia in Arab Maghreb is due to the disturbances caused by the Arab Caliphate in Umayyad and Abbasid ages. They played a great role in establishing schools to teach Holy Koran and Arabic language in Arab Maghreb.

Key words: *Al-Khawarej, Al-Abadhia, Arab Maghreb.*